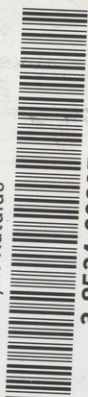


AUC LIBRARY

PA6275 .A7x 1955 c.1

Catullus, Gaius Valerius

Gharamiyat Katulus



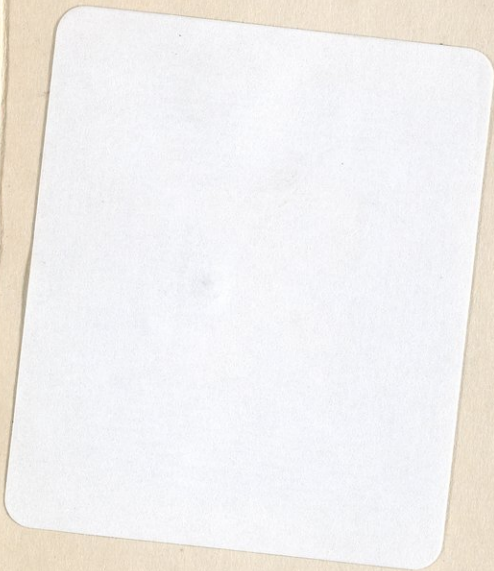
3 8534 00807 7251

PA
62
A
1



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



۲۱ Metulus

Metulus. → no husband
of متولوس

Callous — freed of
Callius

مارکوس Marxous → Lawyer
political
مارکوس

Quintus — Gellius
Ravidus

مناقض
کاتولوس

غراميدس كاتوليوس

فطحل شعراء الغزل عند الرومان

PA

6275

A7

1955

ترجمة

أمين سلامه

ماجستير في الآداب اللاتينية واليونانية

الطبعة الأولى ١٩٥٥

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

مطبعة الاعتدال بصرى تليفون ٤٥٥٤٥
شارع حسن الأكبر - عتايين

oclc

318935737

B 10834904

10977181

٨٧٠

ك. م. ز

فهرست الكتاب

صفحة

٢	إهداء
٥	مقدمة
١	الباب الأول : حياة كاتولوس
١٦	الباب الثاني : غرام كاتولوس ^{بليسيا}
٤٥	الباب الثالث : أشعار كاتولوس
٥٥	الباب الرابع : قصائد كاتولوس في حب ليسبيا
٩٦	الباب الخامس : غراميات كاتولوس الأخرى
١١٠	الباب السادس : مختارات من قصائد كاتولوس

40332

إهداء

أيها الملاك الطاهر
أيها القلب العامر
أيها الجمال السافر
أيها العصفور الطائر
أيها الروح الحائر
خُذْ هذا مني

هو مـ لك

وهو إليك .

فلئن تجدد فيه نداء
فاسمك في صدره نداء ،
ولئن تجدد فيه ضياء
فاسمك في قلبه نور ،
ولئن تجدد فيه سناء
فاسمك في ذيله هلال .

مقدمة

كانت إحدى أمنياني أن أتناول أشعار «كاتولوس» ، ذلك
المتغزل الروماني ، وأعرف بها القاري العربي . . . كانت أشعار هذا
الشاعر الشاب تشير في شتى العواطف فاتخذتها تارة عزاءً وطوراً
غذاءً . . . كانت بساطتها تعجبني ، وطرافتها تسحرني ، وندرتها
تسبيني ، ومضمونها يفتك بأعصابي فيطربني حيناً وحيناً يبكي . .
وكثيراً ما كنت أتخيل كاتولوس هذا ، كاتب تلك الأشعار الجميلة ،
فيصوره لي خيالي شاباً مليح الوجه ، ^{الجمع الحزين} رضى النفس ،
طيب السريرة ، عكس ما حملته ^{الاستب} بين دفوفها في وصفه ،
ووصف دعارته وإدمانه على الشراب . . . ونعته بما قد يشتهي
ولا يشتهي من ضروب الصفات . . .

لقد أحببت كاتولوس هذا من أشعاره ، ولا أخالي مبالغاً
لو قلت إنني تمنيت الحياة في عصره لأحظى بعشرته وأنعم بمجالسته
واستمع بعذب حديثه . . .

فأى قسوة هذه قد قساها القدر يوم أن حكم على كاتولوس ،
ذلك الشاعر الحبيب ، بالموت المبكر وهو في عنفوان الشباب . . .
فخرمنا بذلك حلاوة أشعاره ومنعنا طلاوة غزلياته ، وسلبنا هذا
الروح الشاعرى النادر وذلك الفكر السليم الناضج وذاك العقل
السديد المبدع ؟ ! ! فلو أن كاتولوس قد عاش طويلاً ، فأى إلهام

جديد كان سيتفتق عنه ذهنه وأى إبداع مبتكر كانت الأجيال
ستتمشدد به ، وأى كنز من الشعر هذا الذى كنا سنحظى بقراءته
اليوم . . . ١١٩

إن قارىء كاتولوس سيخلص من أول وهلة عبقرية هذا الشاعر
وسيدرك من فور مقدرته الفائقة فى التعبير والتصوير ، كما ستروقه
عواطفه المتأججة وأحاسيسه الملهمة التى تنبض بها أشعاره الغزلية
حتى لتكاد تزيج لنا الستار عما يجيش بصدر هذا الشاعر من اضطرابات
عاطفية كانت تهن كمانه . . .

ولقد بلغ بى حى المنظور كاتولوس عن عصفور حبيبته أننى
اشتريت قفصاً به عصفور وجعلت السور موضع دراستى لحين
من الزمان ... كنت أتأمل العصفور تارة وهو يغرد وطوراً وهو
يقفز هنا وهناك فى أرجاء القفص . وكنت أحياناً أدخل يدي فى
القفص وأدع العصفور يقف بين أصابعى ويطير حول يدي حتى
صارت يدي تأنس لوقوفات العصفور عليها وصار العصفور يطمئن
إلى يدي ... إلى أن اجتاحتني الشعور بأن العصفور قد عرف
شخصى خير معرفة وأنا نبادل بعضنا حباً بحب مثلما كانت حبيبة
كاتولوس تبادل عصفورها الحب ويبادلها هو بحب مماثل . . .

كان لهذا الشعور أثره الكبير عندما قمت بترجمة هاتين المنظومتين
بالذات ... فلم أكن لأحس بأننى أنقل كلمات كاتولوس اللاتينية

إلى ألفاظ عربية ، بل كنت أحس تماماً بأننى الشاعر نفسه يكتب
المنظومتين من جديد باللغة العربية بعين الإحساس الذى كان قد اعتور
كاتولوس يوم حاول أن يكتب قصيدته عن العصفور العجيب الذى
هو عصفور حبيبه . . . وقد لا يصدقنى القارئ لو قلت له إننى
فوجئت فى أثناء ترجمتى لهُتَيْنِ القصيدتين بموت العصفور ، تماماً
كما مات عصفور الحبيبة . . . وإذ رأيت القفص وقد ركبت فيه
الحياة ب وفاة العصفور ، أحسست بوجوم غريب وبحزن دفين ،
وكادت عيني تدمع كما أدمعت عيون حبيبة كاتولوس يوم مات
عصفورها العزيز . . .

وأحسب أن سر الجمال الذى تنبض به أشعار كاتولوس ليس
فقط ما فيه من قدرة فائقة على إثارة تباريح قلب أى متيم غرقان فى
بحار الحب ، ولكن ما فيه أيضاً من قدرة على مناجاة القلوب عامة ماعبر
منها بالحب وماقفر منها من كل خليجة من خليجاته . . . فما أقدره
حقاً على تحريك القلوب التى قدت من صخر ، والتى لم تنعم يوماً بحب
ولم تشق أبداً بلواعجه . . .

فكاتولوس ذلك الشاعر الشاب ، قد انطلق فى أشعاره إنطلاقاً
حرّاً جعله أبعد ما يكون من التحفظ أو الإباحية ، وأقرب ما يكون
من الشاعر المفطور على السجية الحرة الأبية . . . تراه قد سطر مشاعره
كما أحس بها دون خوف أو خجل ، وعرض مشكلة حبه كما ألت

به دون تحفظ أو مواربة ، وصور خبايا قلبه خابجة بعد خابجة
دون حياء أو تردد ، وتناول سعادة حبه غير ناس ما لاقاه فيه من
مرارة وشقاء . وهكذا نجح شاعرنا في تخليد اسم محبوبته على صفحات
التاريخ بتلك الأبيات البسيطة القوية ، القصيرة العميقة ، وبتلك
القصائد النادرة في سموها ، الرائعة في مضمونها ، المحكمة في ألفاظها ،
الملتهبة في عواطفها ، المنتقاة في قوافيها ، المبتكرة في أوزانها ،
الفريدة في عزلياتها . . .

ولم يكن كاتولوس بالشاعر الذي يمتاز بصدق العاطفة وعمق
المشاعر فحسب بل كان يمتاز أيضاً بخفة الظل وحلاوة الروح وملاحة
النكتة وطرافة الفكرة . . . حتى يمكننا أن نلقبه أيضاً بالشاعر
المرح الخفيف الظل .

ولا يسعني الآن وأنا أنقل أشعار كاتولوس إلا أن ألفت نظر
القارىء الكريم إلى أننى لم أنقل جميع أشعار كاتولوس ، بل
اكتفيت بهذا القدر الذى يكشف لنا أولاً وقبل كل شيء عن قصة
غرامه بليسيدا ، والمراحل المختلفة التى مر بها هذا الحب الجارف
الذى كان مدار حديث الناس فى العصر الذى عاش فيه الشاعر . . .
ثم ماعدا ذلك من القصائد التى تميظ اللثام عن الغراميات الأخرى
التي تورط فيها كاتولوس مع فتيات أخريات وهى لا تقل فى طرافتها
وجمالها عن غرامه الكبير بليسيدا .

ولقد شجعتني بساطة بعض قصائد الشاعر الأخرى على نقلها
إلى العربية كي أتيح للقارئ الشرقي أن يلمس عن كثب ما يتمتع به
هذا الشاعر الخالد من روح خفيف ومزاح طريف وذوق سليم في
انتقاء المواضيع التي يكتب فيها . .

واليوم إذ تتحقق أمنيته أرى أشعار كاتولوس الغرامية منشورة
على الملأ . . . يسعدني حقاً أن تلقى هذه الأشعار عند القراء
الأعزاء ما لقيته عندي من مزيد تقدير وإعجاب . .

أمين سلامة

جاردن ستي في ١٠ يوليو ١٩٥٥

الباب الأول

حياة كاتولوس

لعب الحظ دوراً رئيسياً في تخليد أشعار كاتولوس ، ذلك الشاعر الروماني الذي اشتهر بغزلياته ، ومن ثم في معرفة بعض ما يجب معرفته عن حياته . فلو أن الحظ لم يحرص على صيانة النسخة الخطية الوحيدة لأشعار كاتولوس ولم يضعها في يد أحد نساخي فيرونا Verona ، لما انتشلها هذا الأخير من الضياع والاندثار بعد أن طال الأمد على فقدانها حتى كاد المهتمون بالأدب الروماني القديم يأسون من العثور عليها . فلو لم يقوم الحظ بهذا الجميل البين ، وهذه الخدمة الجليلة والمساعدة القيمة ، لحرمتنا من عبقرية هذا الشاعر الغزلي الخفيف الظل ، ولفوت علينا متعة الاطلاع على هذا اللون الفريد من العشق الروماني القديم ، الذي انفردت به أشعار كاتولوس والذي قلما استطاع شاعر قبله أو بعده أن ينظمه بهذه البراعة ، وتلك البساطة ، أو هذا الجمال الشعري الساحر الجذاب . . .

بيد أن أشعار كاتولوس ، وإن كانت تميظ اللثام عن حياة اللهو ودنيا الغرام إبان تلك العصور الخالية ، إلا أنها تزيج الستار أيضاً

عن الحياة العامة في تلك الحقبة التي عاشت فيها روما قبل أن تتدثر
بدثار الإمبراطورية القشيب ، مصورةً لنا بخيال فتي جمهورى عرك
الحياة كشاب نزق وكشاعر ملهم ملتهب الأحاسيس .

وجدير بالاعتبار أنه يجب علينا ألا ننسى أصدقاء كاتولوس
الآخرين الذين احترفوا مهنة الكتابة ، كما يجب ألا يغيب عن بالنا
ما تعرضت له كتاباتهم وأعمالهم الأدبية من الموت المبكر ، ومن ثم
نستطيع أن نستبين فضل القدر العظيم علينا وعلى أجيالنا ، بأن قيّد
سبيل النجاة لكاتولوس وحده من بين حشد كتاب عصره الكثيرين
فأبقاه لنا كخير قبس تستضيء به الأجيال للوقوف على أدق تفاصيل
الحياة العامة في خضم العالم الذي عاش فيه .

فمن يكون كاتولوس هذا ؟ ومن أى بيت انحدر ؟ وأى حياة
تلك التى عاشها ؟ وكيف خلقت منه الأيام ذلك الشاعر المرفف
الأحاسيس النقي السريرة ؟

لم يولد كاتولوس في روما ولا في مدينة عظيمة من مدن إيطاليا
المشهورة ، ولكن في بلدة صغيرة بأحد تخوم إيطاليا تسمى فيرونا ،
وكانت ملتقى عدة طرق ، منها طريق جنوبي إلى بدرياكوم
Bedriacum وماتسوا Mantua ، وطريق آخر شرقي صوب
أكويليا Aquileia والبحر الأدرياتي ، وثالث غربي إلى ميديولانوم
Mediolanum وبلاد الغال ومن ثم كانت فيرونا تتمتع

بمركز حيوى حربى تصبو إلى احتلاله نفوس الجيوش وتطمع
عيون القواد فى السيطرة عليه .

وما يعيننا فى بحثنا هذا لا ينحصر فى أهمية مركز فيرونا الحربى
بقدر ما ينصب على أهمية هذه البلدة كمسقط رأس الشاعر
كاتولوس ، وكبقعة قد حبتها الأقدار بقسط وافر من روعة المناظر
الطبيعية وسحر الطبيعة الفتان . فما لا ريب فيه أن فيرونا تفوق
شقى بلدان إيطاليا فى هذا المضمار بالذات . . . وفى هذا يقول المستر
هويلز Mr. W. D. Howells : « ما من مدينة تتمتع ببقعة أروع
جمالاً وأبهى رواءً من تلك التى تحتلها فيرونا السعيدة ، تلك البلدة
التي تنفس من هواء الجبال النقى ، والتي تلفها الثلوج فى غلالة ناصعة
البياض شتاءً ، وتكسوها فى الصيف حقول الكروم الخضراء
ذات العناقيد القرمزية الشهية . وفضلاً عن ذلك فإنها غنية
دائماً بالمرمر » .

ويجب ألا يتطرق إلى الذهن أن هويلز قد آثر المغالاة فى
وصفه لفيرونا ، بل حسبك أن تأخذ كلامه على علاته ، لأنه
لم يطلب به غير إرضاء الحقيقة وتقرير الواقع ...

وليست فيرونا جميلة فى حد ذاتها فتخلب عقول مشاهديها ،
فحسب ، بل تقع أيضاً على مسافة قريبة من جاردا Garda بحيرة
بيناكوس Benacus الرومانية التى تعتبر بحق من أجمل بحيرات

إيطاليا وأكثرها فتنة للعين . ومن ثم فإن البطاح التي كانت تحيط
بفيرونا في العصور الرومانية الغابرة ، لا تختلف كثيراً أو قليلاً
عما هي عليه الآن وكلها تجعل من فيرونا ذلك الفردوس
المشرق من أشجار الكروم والزيتون والتوت ، وأغصان الغار
الزكية الرائحة ، الذي له أكبر الفضل في إذكاء أرق المشاعر القلبية
في صدر كاتولوس ، وتحببته في كل صوت جميل أو منظر بهيج .
ولد كاتولوس في فيرونا ، أو ربما في إحدى ضواحيها القريبة ،
وهذه الحقيقة يذكرها لنا أوفيدوس Ovidius فيما كتبه إذ يقول :
« تغتبط مانتوا بفرجيل ، وفيرونا بكاتولوس » .

ويجمع المؤرخون على أن كاتولوس ولد في عام ٨٤ ق.م . ،
ولا يشذ عنهم غير سانت جيروم الذي يجعل تاريخ ميلاده عام
٨٧ ق.م . بدلاً من ٨٤ ق.م وعلى كل فإن كاتولوس
قد ولد قبل عودة سولا Sulla من الشرق على رأس كتائبه الظافرة
ليضع حداً لأعمال النهب والسلب وجرائم القتل الساورة نالها الماررية

• Marian saturnalia

ويحتمل أن يكون لكاتولوس شقيق واحد ، يكبره سنّاً ،
وكان والده من رجال الحى البارزين ، ومن أصحاب النفوذ والسلطان ،
حتى إنهم كانوا يضعونه وسط القائمة التي تتضمن أصدقاء يوليوس
قيصر المقربين . . .

وهناك احتمال آخر بأن أباه كان أحد متعهدي الجيوش ،
الذين - كما هو الأمر الآن - وجدوا في الحرب عملاً مربحاً ،
فكان يمد قوات قيصر بالآلات الحربية والمؤن ، كما كان يعمل
مثلاً لقيصر في بيع الأسلاب الغالية في السوق الرومانية . فلو صح
هذا الاحتمال ، فإن ضيعته وبيته الريفي الذي يقع على ضفاف شبه
جزيرة سيرميو Sirmio في بحيرة جاردا ، لم يستخدمهما كاتولوس
كمصيف تأوى إليه العائلة للراحة والاستجمام فحسب ، بل وكمتودع
لحفظ المؤن الحربية وهي تشق طريقها نحو الغرب .

نستنتج من هذا أن كاتولوس الصغير كان يمضى فصل الصيف
والخريف من كل عام في ذلك الجو الريفي الهادئ وسط تلك المناظر
الخلابة من الخضرة اللبنة والماء العذب القراح الذي ينساب كأسلاك
فضية على بسط زبرجدية تحت أشعة الشمس الدافئة . أما فصلا
الشتاء والربيع فكان يقضيهما في خضم مدينة فيرونا .

ومن المفهوم أن كاتولوس كان يتلقى في المدينة دروسه في
الخطابة التي هي أهم علم كان يتضمنه برنامج التعليم الروماني ، إلا أن
الأمر في حالة كاتولوس اختلف بعض الشيء ، فقد تلقى إلى جانب
دروس الخطابة تعاليم أخرى وجدت في نفسه هوى أعظم وميلاً
فطرياً أكثر ، ألا وهي تعاليم فاليريوس كاتو Valerius Cato
الأدبية . فإن كاتو - كما يعرفنا بذلك سويتونيوس Suetonius ،

كان يلقي في ذلك الحين محاضراته على أبناء الأثرياء في الأحياء المجاورة... ولا شك أن الأدب اللاتيني يدين لكاتو بأكثر مما يلاحظ أحياناً، لأنه كان أسبق الأدباء الذين عرفوا الشعراء السكندريين بحلقات من المستمعين الرومانيين، ودرّسوا مدرسة كاملة من الشعراء الصغار الذين يسميهم شيشيرون «مغني يوفوريون» Cantores Euphorionis، على ثقافات من الفن السكندري.

وليس من شك في أن كاتولوس قد تعرّف تحت إشراف كاتو بالشعراء الأغارقة الذين عاشوا في مختلف العصور ابتداء من هوميروس إلى كاليماخوس Callimachus، إلا أن كاتولوس لم ينس أن يُصدّر إحدى أشعاره (المنظومة ٥٦) باسم أستاذه كاتو الذي مات معدماً مُعسيراً بعد أن مات هو بسنوات عديدة. ويجب ألا يغيب عن بالنا ما كان للثراء من أثر في شاعرنا هذا الصغير، فلقد جرفه ثراء أبيه في تيار الغواية الذي تحرر منه زملاؤه الفقراء من طلاب العلم الذين كانوا يكبرونه سناً، ولا ريب أن هناك بين أشعار كاتولوس ما يدل دلالة صريحة على نوع الحياة التي كان يحياها في فيرونا أيام الطيش والجهل. ويحتمل أن يكون كاتولوس قد كتب أمثال هذه الأشعار كي يلفت الأنظار إليه، وحتى يغنم من ورائها ما كان يهدف إليه من صيت، كأن يشتهر في مسقط رأسه بأنه ذلك المغامر الجسور. ولهذه الأشعار الفضل الأكبر في اهتمام

كلوديا بكاتولوس ، بل وفي قيام تلك العلاقة الغرامية بينهما
ولقد كان لقاء كاتولوس بهذه السيدة في فيرونا نقطة التحول الكبرى
في حياته وكتابات . . . فلما اضطر إلى اقتفاء أثر كلوديا في روما في
ربيع عام ٦١ ق . م . هجر كاتولوس من غير شك ملذات الريف
الحقيرة وانصرف إلى عاصمة الدنيا بمهاجها الساطعة الخطيرة .

ومما لا يتطرق إليه أى شك أن كلوديا كانت تلعب دوراً رئيسياً
في تلك الدسائس السياسية التي كانت موضوع حديث الناس في كل شهر
من شهور عامي ٦١ ، ٦٠ ق . م . ولكننا نفتقر إلى دليل واحد
نستخلص منه أن حبیبها اليافع قد لعب في هذه الأحداث السياسية أى
دور يذكر فإن ملذات العاصمة ومهاجها قد جرفته بلا ريب إلى
صنوف أخرى من الهوايات والميول . ولو حدث أن عفت نفس
كاتولوس هذه الملذات لألفيناه ينعكف على الشعر يقرضه وينظمه
أنغاماً وأوزاناً . . .

ولقد حدث في روما في ذلك الوقت ولأول مرة في تاريخ هذه
المدينة العريق ، أن قام ميل أدبي واضح بين بعض طبقات المجتمع
تزعمه في شيء من الحماس المحمود ظائفة من شباب الشعراء الذين
قدم معظمهم من شمال إيطاليا ويدعون « الشباب » . فانضم إلى هذه
الندوة شاعرنا كاتولوس ، وسرعان ما أصبح واحداً من روادها
ومن أكبر قادة رسالتها الأدبية .

كانت الروابط بين جمهرة أصدقاء كاتولوس عديدة ، وإن كان
هؤلاء الأصدقاء جميعاً يدينون بالولاء إلى فاليريوس كاتو الذي
أضفت عليه ليديا Lydia المزيد من الشهرة والصيت ، والكثير من
الرجح الوفير مما مهد له شراء البيت الريفي التوسكولي Tusculan Villa ،
الذى اضطر كاتو فيما بعد إلى التنازل عنه لدائنيه ... وقد كانوا جميعاً
من المعجبين بالمدرسة السكندرية التي تعارض الفكرة القائلة بأنه
من أول واجبات الشاعر أن يكون وطنياً ، لأنهم جميعاً كانوا
مكبين على دراسة فنهم بكل معاني الجد والاهتمام ، لا يبخلون بوقتهم
أبدأ في أى نقاش يدور حول هذا الموضوع ، بل كثيراً ما كان
يستخدم الجدل فيما بينهم حول قواعد الشعر وأسس النظم ... ولقد
انتهى بهم الأمر جميعاً إلى الهيام بالحب والغرام ، حتى أصيبوا
بآلامه وتباريحه ، وبنعائنه ولذاته. ولم يتورع الذين لم يعرفوا الهوى
من أن يتظاهروا بأنهم غرقى في بحاره ... وكان من بين هؤلاء رجل
من كريمونا Cremona يدعى فوروس بيباكولوس Furius
Bibaculus ، وهو الذى اشتهر فيما بعد بقذفه اللاذع في يوليوس
قيصر ، والذي يحتمل أن يكون هو نفس فوروس الذى تناوله
كاتولوس في منظومته السادسة والعشرين والتي يأتى فيها على ذلك
الموقف التعس الذى يعاينه بيته الريفي .

« أَى فـورِوس
إن يلقى الرِيفى الصغِير
لا يتعرض لهجوم
لفحات أوسـتير
أو لفحات فاقونِوس
وبورياس العاتى
وأفيليو تيس أيضاً
ولكنه يتعرض لعصفه
خمسة عشر ألف
ومائتى ریح باردة
فيالهامن حالة جوية مفزعة » .

وكان من بينهم أيضاً كايكيلیوس Caecilius أحد مواطنى نوقوم
كوموم Novum Comum الذى كان قريباً إلى جوار الشاعر ، ولذا
نجد كاتولوس يشير فى منظومته الخامسة والثلاثين إلى الربة العظيمة
كوبيلى Cybele ، التى كانت لب موضوع منظومة كايكيلیوس :

« إنى يا فتاتى
أحس بإحساسك
أنت يا من تبذین
ربه الشعر سافو
فإن كايكيلوس حقاً

قد صدر قصيدته (الماجناتير)

بمقدمة آية في الروعة .

أما ثالث هؤلاء فقد كان جيوس هيلقيوس كيننا Gaius

Helvius Cinna من بريكسيا Brixia ، وهو ذلك الشاعر الذي لقي

حتمه خطأ على يد السابلة في حفل دفن جثمان قيصر ، وقد ألف

«سميرنا» وهي ملحمة قصيرة نتيجة جهد متواصل دام تسع سنوات

يروى لنا فيها كيننا غراميات مورّا Myrrha المحرّمة مع أبيها

كينوراس Cinyras ، ولقد ورد ذكر كيننا وملحمته هذه في صدر

المنظومة الخامسة والتسعين من أشعار كاتولوس :

« (سميرنا) صديقي كيننا

التي نشرت أخيراً

بعد تسعة فصول حصاد

وانقضاء تسعة أخرى مشات

منذ الابتداء فيها

بينما في عام واحد

كتب هورتيثيوس

خمسائة ألف بيت من الشعر . »

كان هؤلاء الثلاثة غاليين ، ومن الأغراب الوافدين إلى روما .

أما الأعضاء الآخرون المنتمون إلى ندوة هذا الشاعر ، فكانوا

ينتسبون إلى عائلات إيطالية عريقة في القدم . فقد كان هناك

كورنيفيكوس Cornificius مؤلف ملحمة جلاوكوس «Glaucus» القصيرة والذي كانت أخته كورنيفيكيا شاعرة أيضاً ، وقد لقي حتفه في ميدان القتال إبان الحروب الأهلية التي اضطرت نيرانها في عام ٤١ ق.م. وكان وقتذاك حاكماً على أفريقيا حيث هجره جنوده الذين اعتاد أن يسميهم «أرانب في خودات» . ويأتي ذكر كورنيفيكوس هذا على لسان كاتولوس في منظومته الثانية والثلاثين .

وكان هناك أيضاً أسينيوس بوليو الصغير Asinius Pollio من تياتي Teate ، وكانت سنه في ذلك الوقت لا تزيد على سن فتي غض الإهاب كما تصرح بذلك منظومة كاتولوس الثانية عشرة ، وهو الذي اشتهر فيما بعد كصديق لكل من هوراتيوس Horatius وشرجيل Virgilius .

ومن أصدقائه أيضاً مانليوس توركواتوس Manlius Torquatus ابن أحد قناصلة عام ٦٥ ق.م. الذي طار صيته في الآفاق إثر إعدامه كورنيليوس سولا Cornelius Sulla بتهمة الاشتراك في مؤامرة كاتيلينا Catilina ، والذي كتب كاتولوس إحدى منظوماته تكريماً لزوجاه من چونيا أورونكوليا Junia Aurunculeia .

هذا فضلاً عن صديقي كاتولوس الحميمين اللذين ولدا بمحض الصدفة في يوم واحد ، وهما ماركوس كايليوس روفوس Marcus Caelius Rufus وجيوس ليكينيوس كالقوس Caius Licinius Calvus .

لم يتمتع واحد من هؤلاء بما كان يتمتع به كاتولوس ، من
الذكاء والعبقرية غير كالفوس الذي طبق صيته الآفاق لا كشاعر
فحسب بل وكخطيب مفوّه . ورغم أنه كان قصير القامة فقد كان
ألد منافسي شيشيرون .

ولقد كان حديثه ضد قاتينيوس شديد الوقع حتى إن المدعى
عليه التعس صاح في هيئة المحلفين : « أيها الأخيار ، أيقن أن أتهم
بفضل فصاحة خصمي ؟ ! » . أما أشعاره وهجائياته السياسية فليس
لدينا منها إلا كسر تدعو إلى الرثاء ، ولم يكن من بينها ما يدعو حقاً
إلى الإعجاب وما يتصف بالروعة والجمال غير البيتين اللذين كتبتهما
عن پومي ، واللذين يفوقان في عنفهما ما كتبه كاتولوس في هجاء
قيصر :

« عظيمنا الذي يخشاه العُتاه
يحك رأسه بأصبعه
ماذا يريد ، واعجابه ؟
لعله يهوى رفيقة لمضجعه » .

ويضع هوراتيوس وأوفيدوس الشعارين في مرتبة واحدة ،
أما موت كالفوس المبكر في سن الخامسة والثلاثين فقد كان فجعة
للاُدب اللاتيني لا تقل عن فجيعته بموت كاتولوس نفسه .
وكان مصدر غبطة هذه الجماعة من الشعراء الناشئين أن نشر
كاتولوس أول كتيب له في عام ٦٠ ق.م. وكان يتضمن مجموعة من

أشعاره الأولى في لسبيا وبعض محاولات شاعر فيرونا إبان ميعة الصبا ونعومة الظفر ، ولقد صدرّ كاتولوس كتيبه هذا بمقدمة هي القطعة الأولى من منظومات الشاعر المترجمة بهذا الكتاب ، ومنها يفهم أن الشاعر يصدر كتابه لأبرز شخصية غالية كانت في روما وقتذاك ، ألا وهي شخصية كورنيليوس نيبوس Cornelius Nepos المؤلف المشهور الذي كتب كتابي « حياة مشاهير الرجال » و « تاريخ العالم » والذي لم تخرج كلمات كاتولوس عن مديحه وتمجيده ، الأمر الذي دفع نيبوس إلى رد هذا الجميل فيما بعد بجميل مماثل ، فلم ينس عند الكلام عن « حياة أتيكوس Atticus » أن يضع كاتولوس في قائمة واحدة مع لوكرتيوس Lucretius كأعظم شعراء عصرهما .

ولقد قضى كاتولوس معظم السنوات الثلاث التالية إما في روما أو بباي Baiae أو في بعض الأماكن الأخرى التي يجد فيها الإنسان المتعة والسرور ، مكرساً بعض الوقت كما نعتقد لكتابة الشعر ، هذا وإن كان شغله الشاغل إبانها انحصر في كلوديا وفي تلك الجماعة من الشباب المرح الوثاب أمثال فاروس Varus وفلاقيوس Flavius وكاميريوس Camerius ونسائهم .

وفي هذا الوقت بالذات تقع أحداث سياسية ، ذلك لأن بومبي وكراسوس Crassus وقيصر ، كانوا قد غامروا بمواردهم من الجنود والمال والحنكة ضد الدستور القديم ، كما أصبح قيصر في عام

٥٩ ق . م . قنصلاً ، وذهب في العام التالي إلى بلاد الغال ليتبوأ
هناك منصباً دائماً لمدة خمس سنوات . وفي ربيع نفس العام دبّر
كلوديوس خطة لنفي شيشيرون ، كما بدأ في روما الاعتماد على حكم
العامّة العنيف رغم أنف پومي ، واستمر ذلك ثمانية عشر شهراً كاملة ..
بيد أن هذه الأحداث السياسية كلها لم تكن لتشير كاتولوس
أوعلى الأصح كانت في المرتبة الثانية بالنسبة إلى شئونه الشخصية .
غير أن الأزمة التي أصابت ثروته الخاصة ، كانت وحدها العامل الأول
الذي دفع كاتولوس إلى أن يقبل هو وهيلقيوس كينّا Helvius
Cinna منصباً ضمن هيئة العاملين مع جيوس ميمبوس Caius Memmius
مالك بيثيفيا .

وكان ميمبوس هذا الذي صدرت باسمه منظومة لوكريتيوس
عن طبيعة الأشياء De rerum natura ، من غواة الشعر كزميله
كالپورنيوس پيسو Calpurnius Piso قنصل مقدونيا السابق وكان
قد انضم إليه في ذلك الوقت صديقان آخران من أصدقاء كاتولوس
هما فيرانيوس Veranius وفابولّوس Fabullus ، ويحتمل أن الحاكمين
قد اعتبرا تعيينهما هذا دليلاً قاطعاً على إخلاصهما للأدب .

ولكن الأمر في حال الأربعة يشير إلى أن المجد المكتسب
يفوق الرج المقتنى .

ولقد أمضى كاتولوس عاماً واحداً في وظيفته ، ثم عاد في ربيع

عام ٥٦ ق.م. ساخطاً حانقاً ، وكان قد اشترى لأجل هذه الرحلة ذلك الزورق السريع الذى وصفه لنا فى المنظومة الرابعة ، والذى كان فى مقدوره أن يجلبه من أماستريس Amastris ، مينائها الأول إلى البروپونطيس Propontis . . . فلما ركب كاتولوس ظهر زورقه فى كيوس Cios . زار أولاً وقبل كل شيء قبر أخيه فى طرود Troad وبعد أن مرَّ بمدن سواحل آسيا الصغرى المشهورة عبر بحر إيجه عن طريق رودس وديلوس وكيكلاديس Cyclades إلى مضيق كورنثة ، ثم نُقل الزورق إلى خليج كورنثة ليجر شمالاً عبر البحر الإديراتيكي ، ومن هناك عبر نهر الپو Po ومينيكيو Minicio إلى حيث بحيرة جاردا .

وببدو أن كاتولوس أمضى العامين الآخرين من حياته فى سيرميو وفيرونا ، ولم يخلُ الأمر من زيارات خاطفة إلى روما مفكراً ، كما فعل كيتس Keats من بعده ، فى موت شقيقه وفى حبه التعس ، آملاً أن ينسى أحزانه بالدرس وقرض الشعر . . . ولهذا الحقة من الزمان ينتمى عدد لا يستهان به من أشعار كاتولوس القصيرة أفضلها منظومته عن «أكمي وسيپتيميوس Acme & Septimius» وأردوها ما كتبه عن مامور Mamurra ، ويتجلى فيه ما بين الشاعر ومامورا من تحامل شخصى محض مردّه أميانا Ameana تلك السيدة التى كان بينها وبين الفضيلة حب مفقود ، كما كانت ذات يوم موضوع حب كاتولوس حتى هجرته إلى أحضان القائد . . .

الباب الثاني

غرام كاتولوس بليسييا

تداعب قصص الغرام بسحرها المغري خيال الشباب والشيوخ
من الجنسين فتجيش لها أقوى العواطف كما يستجيب لها أكثر المشاعر
العالمية . . . بيد أنه عندما تكون المحبوبة من ألمع شخصيات عصرها
فإن نفوذها لا ينبسط على المسرح السياسي فحسب بل وعلى المجتمع
أيضاً فيبلغ نفوذها شأواً لا يقل في عظمتة عن خطورته فيزداد
الأمر عندئذ أهمية ويكون لأدق التفاصيل في حياة الحبيبة الخاصة
قيمتها البالغة لدى المؤرخ والتربوي . فإن حدث وكان الطرف الثاني
شاعراً غرامياً، فإنه يسجل في أشعاره جميع مراحل علاقته الغرامية
منذ أول لحظة من لحظات الطرب والسرور إلى آخر شقوة من
شقوات الحب الفاشل دون أن يترك أى نقد أدبي لشعره مهما أشد
الاهتمام بالتعبير الدقيق عن كل خليجة من خليجات الحب حتى تبدو
صورة رائعة للمشاعر والعواطف الإنسانية ، مجسمة ناطقة . . .
فلعل هذا وحده من الأسباب الأولى التي تجعل من قصة غرام
ليسييا وكاتولوس موضوعاً جديراً بالتسجيل وقصة خليقة بالذكر،

ورواية غرامية تتجاوب مع العواطف الإنسانية الرقيقة ، وإن
كانت لا تخلو من تباريح الهوى ومن النيران المتأججة المستعرة
التي يكوى بها قلب كل محب . . . ولعل غرام كاتولوس هو الذى
صدق فيه قول الشاعر العربى :

سلى عن الحب يا من ليس يعلمه
ما أطيّب الحب لولا أنه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله
فى حلق ذائقة مرّ ولا شهد
أو قول زميله :

سلى عن الحب يا من ليس يعلمه
عندى من الحب إن ساءلتنى خبر
إنى امرؤ بالهوى ما زلت مشتهراً
لاقيت فيه الذى لم يلقه بشر
الحب أوله عذب مذاقته
لكن آخره التنغيص والكدر

فقد كان غرام كاتولوس حقاً مزيجاً من الحنظل والشهد ،
خليطاً من المسرات القلبية والآلام النفسية . . . ولقد تولى كاتولوس
فى أشعاره تسجيل مشاعره هذه فى غير حياء ولا خجل ، وفى
صراحة تدعو إلى العجب ، ودقة تثير الدهشة ، وبساطة ترفع من

شأن شاعرنا الولهان وتجعله رائداً أول بين شعراء الغرام عند
الرومان وتبوءه عرشهم أجمعين كأول من جاهر بأحاسيسه الغرامية ،
وأصدق من صرح بما يعاينه من تباريح العشق وما يقاسيه من آلام
الغرام ومن جفاء الحبيب وصدوده اللعين . حتى إن قصة غرام
الشاعر راحت تجرى من فم إلى فم وطفقت تنتقل من دار إلى دار
حتى صارت مدار حديث المجالس والمجتمعات وأصبحت مضرب
المثل بين سكان المدينة ، ومقياس العشق كلها عرض ذكر للعشق
الرومانى على لسان أحد . . . إن كل قارئ لأشعار كاتولوس
الغرامية لن يغيب عليه قط مأساة الشاعر الغرامية ولن يعجز عن
تفهم مدى أثر ذلك فى حياته وقلبه ، كأن كاتولوس وهو يسجل
أشعاره فى حب ليسيبيا لا يردد قول أحد غير قول الذى أنشد :

يأيها الرجل المعذب بالهوى
إنى بأحوال الهوى لعليم
الحب صاحبه يبيت مسهداً
فيطير منه فؤاده ويهيم
والحب داء قد تضمنه الحشا
بين الجوانح والضلوع مقيم
والحب لا يخفى وإن أخفيته
إن البكاء على الحبيب يدوم

والحب فيه حلاوة ومرارة

والحب فيه شقاوة ونعيم

والحب أهون ما يكون مبرح

والحب أصغر ما يكون عظيم

أحب كاتولوس ليسيبيا . . . أحبها حباً جارفاً ملك عليه
شغاف قلبه فكان حباً نقياً كماء الغمام ، طاهراً كصحائف الأبرار ،
عظيماً كموج البحر ، فأحس بليسيبيا كأنها في دمه نور ، وفي كيانه
سحر ، وفي حياته رجاء وأمل .

فمن تكون ليسيبيا هذه ؟ وكيف وقع كاتولوس في حبها ؟
لم تكن ليسيبيا حرة طليقة ، أى لم تكن عذراء فتية ، ولا بكرًا
نقيه . . بل كانت امرأة ، أو قل زوجة تنتمي إلى طبقة دونجوانات
روما . . ولم تكن زوجة رجل مغمور أو بعل من عامة الشعب ،
بل كانت زوجة كوينتوس كايكيليوس ميتيلوس كيلير
Quintus Caicilius Metelus Celer وابنة أيبوس كلوديوس
پولكر Appius Claudius Pulcher ، وشقيقة پوبليوس كلوديوس
Publius Clodius . . . ولم تكن امرأة بسيطة الشأن أو خاملة الذكر ،
بل كانت من أقطاب عصرها ، ومن مشاهير بنات جنسها . . لم
تكن ليسيبيا امرأة ساذجة ، بل كانت لغزاً أنثوياً حياً ممثلاً في عادة
ماكرة غزلة لعوب ، تعرف كيف تأسر في ثقة ، وتجذب في سكينته ،

✓✓
وتفتن في صمت ، وتستميل في إغراء هادئ مطمئن عميق لا يكشف
سرهما ولا يميظ اللثام أبداً عن حقيقة شخصيتها ، لقد كانت ذئباً
في فراء حمل وادع .

لم يكن « ليسيبيا » الاسم الحقيقي لتلك السيدة التي ألهبت قريحة
كاتولوس كما أشعلت بالحب قلبه ، بل هو الاسم الذي استخدمه
الشاعر في قصائده كلها أراد أن يعنى بحبيبته « كلوديا » .

أما الأدلة على أن ليسيبيا هي كلوديا نفسها ، فليست قليلة ،
وكلها في متناول أيدينا . . فلقد ذكر لنا أوغديوس في منظومته
« تريستيا Tristia » ما يؤكد أن كاتولوس كان يستخدم اسم « ليسيبيا »
على سبيل الكناية : « كثيراً ما كان يترنم كاتولوس السعيد بحبيبته
ويسميها بالاسم الزائف « ليسيبيا » .

أما أبوليوس Apuleius أحد كتاب القرن الثاني للميلاد فيؤكد
بصفة قاطعة أن « ليسيبيا » هي « كلوديا » ، ولا أحد غير « كلوديا » ،
إذ يقول « دعهم يلومون كاتولوس لاستعماله الاسم « ليسيبيا » كناية
عن « كلوديا » .

غير أن كاتولوس في منظومته التاسعة والسبعين يحدثنا عن
شقيق ليسيبيا يدعى « ليسيبوس » ، ويسميه « بولكر » أي « الفتى
الجميل » ، وهذه هي الدعابة التي كثيراً ما كان يلجأ إليها شيشيرون مع

الاسم كاوديوس ، وإن كان بدوره يشير من طرف خفي إلى إثم
العلاقة الوثيقة التي بين الحبيين .

كذلك نجد كاتولوس في المنظومة السابعة والسبعين التي كتبها
في عام ٥٨ ق.م يسب صديقه روفوس الذي سرق منه أغلى ما كان
يملك .

وفي هذا العام بالذات ، أى بعد موت ميتيليوس ، كما علمنا
من خطبة لشيشيرون دفاعاً عن كايليوس Pre Caelio إذ كان
ماركوس كايليوس روفوس يعيش مع كلوديا في بيتها فوق تل
البلاتين .

والآن يمكننا دون أى عناء أن نكشف الستار عن مسرحية
كاتولوس الغرامية وعن شخصيات أبطالها المبرزين ، كما يمكننا
أن نذكرهم بأسمائهم الحقيقية دون حاجة إلى أسماء مستعارة . . .
أما البطلان فهما كاتولوس وكلوديا . . . يعاونهما في أداء المسرحية
ميتيلوس زوج البطة ، وكايليوس روفوس أصدق أصدقاء البطل . . .
ومن كان يمثل الجوقة بكل مستلزمات من الإسهاب والتطويل ، فهو
المحامى المشهور والسياسى الداهية ، ونابعة زمانه ماركوس توليوس
شيشيرون . ولا يجب أن يغيب عن بالنا أن تلك الزوجة وذلك
الزوج كانا ينتميان إلى عائلتين من أعرق العائلات الرومانية نسباً
وأكرمها محتداً . وأن الشخصيات الخمس رغم ما فى مسلكهم من

تلون صارخ ، كانوا يحتلون أرفع المناصب في المجتمع ، كما أنهم
قضوا حياتهم وهم محط أنظار العامة والخاصة ، لا تكف الألسنة
عن ذكرهم والإشادة بما أثرهم حتى طبقت شهرتهم الآفاق .

Caesar
كان أهم مظهر من مظاهر سلوك طبقة أرستقراط الرومان
القدماء ، هو تمسكهم الشديد بتقاليد العائلة التي ينتمون إليها وبعاداتها...
فمنميزات عائلة كلوديا مثلاً الاعتداد بالنفس الذي هو أقرب إلى
الكبرياء والخطرة ، والاحتقار الشديد للرأى العام... هذا
فضلاً عن كفاءة خاصة ، أدبية وفنية لا يتمتع بها غيرهم من أبناء
أمتهم... فلقد كان من بين أسلاف كلوديا ، الحكام العشرة
المتعطرسون الذين تدين إليهم روما بالآلواح الأثني عشر ، مصدر
قانونها ووحية ، وذلك الرقيب الأعشى الذي شيد طريق أيبيا
Appian Way وخزان أيبيا Appian Aqueduct ، وأحد أوائل
المؤلفين اللاتينيين ، وتلك العذراء القيسطالية التي شهدت لها السموات
بالعفة والطهارة .

وكانت كلوديا نفسها تتمتع بنصيب وافر من تلك العبقرية
الخارقة التي أكسبت عائلتها ذلك المجد الرفيع والاحترام العظيم...
فمن الجلى إذن أن كلوديا قامت بثورة ضد التقاليد والعرف ،
ولو أنه كان في مقدورها بحال من الأحوال أن تنال السعادة في
حياتها الزوجية ، لكانت قد وفقت إلى شريك أكثر لياقة في

✓✓
شخص رجل له مثل عبقرية شيشيرون القادر وحده على الوصول
إلى مدارك فهمها . . . وما كان لها أن تتزوج محض جندي
كميتيلوس الذي تزوجته .

أما إذا ذكرنا شيئاً عن طبائع عائلة ميتيلوس فأنسب لفظ
للتعبير عن هذه الطبائع جملة هو لفظ « الصرامة gravitas » الذي
يستخدم في اللغة اللاتينية كمرادف لكلمة « حماقة » أو « غباء »
ولقد زوّدت عائلة ميتيلوس الدولة لأجيال عديدة بسلسلة متواصلة
من السياسيين المحافظين والإداريين المتزمطين والقادة الصارمين .
ولقد حدث أن أحد أفراد عائلة ميتيلوس ألقى بالشاعر نايثيوس
Naeivus في غياهب السجون لأنه جرؤ على انتقاد سلطته إبان
الحرب البونية Punic War ، وتزعم ميتيلوس آخر حركة المقاومة
العنيفة التي أباحها مجلس الشيوخ ضد التشريع الجراكي
Gracchan Legislation ... هذا فضلاً عن ميتيلوس الذي قاد دفعة
الحرب ضد يوجورثا Iugurtha في ذلك الأسلوب البطيء حتى
ألقي نفسه ، وقد ألم به حزن شديد ، قد حل محله ماريوس المحدث ...
وكان كوينتوس كايكيلوس ميتيلوس كيلير زوج كلوديا ينتمي إلى
هذا البيت الروماني وتسرى في دمائه تلك النزعة التحفظية
المتزمطة .

كان ميتيلوس هذا أحق ، ولكنه كان عنيداً ، وكان في حياته

✓
الخاصة سمجاً فظاً ، وإن كان في حياته العامة وقوراً جداً ورزينا
للغاية . . لقد كان مع جموع الشعب وقحاً متغطرساً ، بينما كان مع
أبناء عشيرته لطيفاً رقيقاً . . .

وإن أردت الحق ، فإن ميتيلوس كان مثلاً صادقاً للأرستقراطي
الروماني القديم ، ولذلك الزوج العاجز عن السيطرة على امرأة
جديدة كزوجته ، الفاشل في شق طريقه عبر خضم السياسة
المضطربة . فالسياسة العملية — أى المتضمنة أولاً وقبل كل شيء ،
معرفة الطريق الذي سيسلكه الناس في إعطاء أصواتهم قبل التصويت
بفترة من الزمان — قد أثارت مشكلة عويصة في عصره ، كان
حليها فوق طاقة رجل له ذكاؤه ونباهته .

ومع ذلك فقد كان ميتيلوس رجلاً له بعض الصفات القوية .
ففي عام ، ٦٣ ق . م . لعب دوراً بارزاً في تحطيم قوات كاتيلينا
المسلحة ، فكافة شيشيرون على ذلك بأن وكل إليه في العام التالي
حكم غاليا كيسالبيين Cisalpine Gaul ، إذ رأى شيشيرون أن
الصالح العام يتطلب منه أن يبقى هو في روما . ومن ثم في ربيع
عام ٦٢ ق . م . رحل ميتيلوس ومعه زوجته إلى تلك الولاية ،
ويحتمل أن يكون بعد مضي بعض الوقت في حكم هذه الولاية ،
قد التقى حبيباناً في فيرونا وبدءا غرامهما الذي تكشف أشعار

✓✓ الشاعر عن الكثير من مراحل والتغيرات التي اكتشفته . . .

كان كاتولوس في ذلك الوقت في الثانية والعشرين من عمره ،
أى أنه كان في السن التي تمكنه من التعرض لبعض التجارب
البسيطة في الحب مع بعض العذارى اللطيفات المعشر من أمثال
إپسيثيلا Ipsithilla وأوفيلينا Aufilena ، ولكنه كان صغير السن
من غير شك ، وفي غاية السذاجة . ومن ثم لم يقو أمام حب هذه المرأة
الرومانية العظيمة ، التي تنازلت لخصته هو دون غيره بنظرات الحب
ولحات الهيام ، جرفته في تيارها واكتسحته بسحرها وأوقعته في
حبائها حتى الثمالة . . . وكانت سن كلوديا نفسها تزيد على سن
كاتولوس بما يقرب من العشر سنوات ، فقد كانت تقرب من
ذلك السن الذى يسميه أوفيدوس سن الفتنة والجازبية « امرأة في
سن الثلاثين » كما كانت قطعة من الإغراء الفتان ، بديعة فريدة
المثال ، أشبه بالبدر المنير بين النجوم السواطع ، ذات وجه صبح
وعينين دعجاوين . فى وجهها هدوء . وفى عينيها صفاء . ولصورتها
رواء . هيفاء متناسبة الطول معتدلة القد ، مرفوعة الرأس دائماً .
لا يبدو وجهها الا مليحاً صبوراً واضحاً . . تسير فى طريقها فلا
تنحرف ولا تميل . . كاملة بارعة تعزف لحناً ساحراً . فتجذب
بظاھر فتنتها قلباً بعد قلب . . وكان عنقها الأتلع المستدير يشبه
برجاً من اللجين الخالص ، وذراعها البضة تشبه فرعاً مجيداً من

شجرة مباركة كل ورقة فيها تفيض بالبهاء والنور . . وكان جبينها
ناصعاً كالصراحة ، ونظراتها باترة كالعزيمة ، ولمعة تفكيرها
العبقري تجثم في عمق عينيها كما يجثم سر الحياة الكبرى في مقدس بدن
الغض الجميل . . أسنانها بيضاء كياسمين منضد ، صقيلة لماعة كأندر
العاج وأغلاه . . ممشوقة القوام في شموخ ساطع ، جريئة الروح
في اتقاد ناضر ، مشبوبة القلب ، مضطربة العاطفة ، أهدابها كحيلة
سوداء ذات وطف ، ثغرها دقيق عذب المرافف ، قد فرع عودها
وبرز نهداها المشران المتحلبان نعيماً ، كما استدار وجهها وتلاّلاً
جبينها المشرق كأنه الهلال الوليد يطل من الأفق .

كانت كلوديا إذن مثلاً صارخاً من الجمال الإيطالي الذي كان
يتخذه بعض الفنانين نموذجاً حياً لهم في فنهم . هذا وإن كان
كاتولوس لم يذكر لنا في أشعاره من أوصاف كلوديا الجسدية إلا
النذر اليسير عن قدمها الدقيقة ، ويدها المستدقة ، وأنفها الصغير
المستقيم وعيونها السوداء اللامعة .

أما شيشيرن الذي كان يعرفها معرفة جيدة ، والذي فكر ملياً
في الطلاق من زوجته تيرينتيا Terentia من أجل الزواج منها ،
فقد اعتاد أن يصفها دائماً بتلك الصفة الهومرية المشهورة ذات
عيون المها ، التي تناسب دائماً الملكة السموات . . ولا شك أن
كلوديا قد بدت لكاتولوس في بادئ الأمر كأنها جُونو Juno

متجسدة ، لها جمال وجلال زوجة حوبيتر Jupiter ملك
الأرباب والبشر .

كانت القصيدة الحادية والخمسون هي أول القصائد التي كتبها
كاتولوس في حببته كلوديا ، وفيها يصف مشاعر المتعبد المتحمس
في حضرة معبوده ، وهي ولا شك تعبر تعبيراً صريحاً عن عواطف
وخلجات صادقة . . ويحتمل أن فارق السن والشباب هو الذي
دفع كاتولوس إلى اقتباس آراء وكلمات شاعر آخر واستخدامها
لتحقيق مآربه . . فهذه القصيدة محض ترجمة لإحدى أشعار
سافو Sappho الخالدة وهي من حيث الشكل ناجحة كأى ترجمة
يمكن أن تتم لقصيدة من قصائد سافو ، وهي في كلمات أخرى
فشل كان للقضاء والقدر دخل كبير فيه . أما عن الفكرة فيحتمل
أن كاتولوس قد تعذر عليه أن يلمس أن نوع حب سافو لصديقها
يختلف تمام الاختلاف عن حبه هو لكلوديا . ولكنه يرى أن
الأصل قد كتب لفتاة من ليسبوس Lesbos ، ومن ثم فهو يزوج
بالاسم « ليسيبيا » الذي راح يستخدمه في جميع أشعاره كاسم مستعار
لحببته .

ويحق لنا أن نفترض أن هذه القصيدة الأولى في التودد
والتعرب كانت كافية لكي تغمر قلب السيدة بالغبطة والسرور .
ولقد سُمح للشاعر أن يتعرف إليها وأن يتقرب منها ، ومن ثم فإن

القصيدة التالية قد صدرها الشاعر بذكر عصفور حييته الأليف
الذي اعتادت أن تتركه يقفز على نحرها وفي حجرها ولعل
هذه القصيدة هي التي جعلت مارتيا لوس Martialus يسمى كاتولوس
مؤلف قصيدة العصفور ، . . .

أما حياة العصفور فقد جعلت كأقصر ما يكون ، شأنها في ذلك
شأن عواطف كلوديا نفسها . وفي القصيدة الثالثة التي ملأها الشاعر
بألفاظ التصغير وتعبيرات الإغراء والتقدير ، سجلت وفاة
العصفور المسكين .

فهذه القصائد الثلاث الأولى التي يحتمل أن يكون كاتولوس
قد كتبها في فيرونا ، لا تظهر كاتولوس إلا كمعجب متحمس
وكمحب بريء ساذج .

أما في قصيدة « القبلات » وفي قصيدة « الدعوة إلى الحب »
المحتمل كتابتهما في روما حيث كان الشاعر قد تبع كلوديا في
عام ٦١ ق . م . فإن كاتولوس يبدو فيهما في شخصية المحب الذي
حظى حبه بالقبول ، كما أنه قد عبر فيهما أحسن تعبير عن سرور
الشاب الوطمان الغارق في الحب إلى الأذان .

فهذه القصائد الخمس هي أول سجل لمظاهر حب كاتولوس
السعيد .

وفي سذاجة الشاب اليافع ، اعتبر كاتولوس أن من حقه أن

✓ تنسى كلوديا من أجله واجبها نحو ميتيوس ، ولكنها عند ما بدأت
تمارس حرية الاختيار التي كان الرجال يدعونها دائماً إلى أنفسهم ،
وما أن بدأت تسأم وتمل عشقه الحار ، مفضلة عليه آخرين من
المعجبين بها ، فإن آراء كاتولوس في الإخلاص تطورت وتغيرت .
وبعد ذلك يبضع سنين حاول كاتولوس في القصيدة الثامنة والستين
أن يستعيد أولى جذوات حبه فصور إحدى مقابلاته السرية مع
حبيبته في بيت صديقه أليوس Allius ونراه يتخيل نفسه محباً
صبوراً رضى الأخلاق :

« أعرف أنني لا أستطيع أن أكون حبيبها الأوحد
وأنه يجب على أن أتحمل ضعفها في رقة وكياسة
فلست من صنف الزوج الغيور
فإن تلك هي حصيفة ، فلسوف أكون أنا أعمى ،
ولكنه في حقيقة الأمر لم لم يكن أعمى ولا رضى الأخلاق ،
كما أنه كان بعيداً كل البعد عن السعادة .. »

هذا إلى أن الوضع في روما اختلف كل الاختلاف عنه في
فيرونا . ففي العاصمة لم يكن المشكل الذي يواجه المرأة منحصراً
في الكيفية التي تقضى بها وقتها ، بل كان بالأحرى مقصوراً على وسيلة
إيجاد الوقت لتلك المسرات التي لا حصر لها ، وتلك المشاغل التي
كانت تملأ أيامها .. لم يكن جل همها إزاحة الستار عن حبيب

واحد لائق ، بل كيفية المحافظة على زمرة من المغازلين الشغوفين
في حالة من الغبطة والسرور . وفي عام ٦٠ ق . م . أصبح ميتيلوس
قنصلا ، فتركزت جميع جهوده في أن يضع پومي في مكانه اللائق ،
وهكذا قلّت أمامه الفرص والمناسبات عنها في أي وقت آخر لتلك
المراقبة الزوجية التي كانت كلوديا في مسيس الحاجة الشديدة إليها .
لقد كانت كلوديا محاطة بهالة من الشباب اليافع ، الذين وجد
كاتولوس في أغلبهم منافسين ألداء له في حب كلوديا . ولعل هذا
يوضح لنا شيئا عن طبيعة كلوديا وكيف استطاعت أن تعذب محبا
شديد المراس ، كما أراح الستار عن هذا كاتولوس نفسه . . . فيصر
كاتولوس على اعتبار كلوديا إحدى ممتلكاته ، ويصر على ذلك
بطريقة تدعو إلى الضحك والسخرية ، إن لم تكن تدعو إلى الرثاء
أيضاً . . فنراه يحذر في شيء من الجد والصرامة المعتدين على حبه
والمنتهكين حرمة من أمثال كوينتيوس Quintius ورافيدوس
Ravidus وجيليوس Gellius متظاهرا كمن له الصولة والسلطان ،
غير عابئ بكرامة زوج مسئول ، لابساً رداء الحب المتغطرس
الولهان . . فليس بمستعجب إذن ولا بمستغرب أبداً أن تتعدد
المنازعات والمشاجرات ، وأن تكفل لنا القصائد التي كتبها كاتولوس
عن ليسيبيا إبان عام ٦٠ ق . م . تاريخاً مريراً لتلك التعنيفات المريعة

واللائمات القاسية ، فضلا عن مناسبات الوفاق القصيرة الأمد ،
ومرات الوئام والانسجام القليلة العدد .

وعلى كل فقد كان على كلوديا إبان حياة ميتيوس ، أن تحافظ
على احترام معين للمظاهر ، فضلا عن أن واجباتها الزوجية قد
زودتها بلا شك بحجة مريحة للتعامل مع مغازل ولهان قد برّح به
الهوى . . ولكن في عام ٥٩ ق . م . وقعت حادثة ألحقت بموقفها
تغييراً كبيراً ملحوظاً . . فميتيوس وقد أنهكه ما كان يكتنف
السياسات الرومانية من تعقيدات لا مثيل لها ، قد مات فجأة ، وإذا
انتقلت كلوديا إلى الإشراف الإسمي على أخيها سكستوس كلوديوس
بولكر ، ألد أعداء شيشيرون ، فقد أضحت مستقلة تمام الاستقلال
كأرملة في سن الخامسة والثلاثين وكصاحبة ثروة طائلة . واجتمع
الروماني الذي تختلف أفكاره في المزاج اختلافاً يديناً عن أفكارنا ،
راح يقول مازحاً : « إنها سمّمت زوجها ، وكانت عشيقة أخيها
أيضاً ، بيد أنه من الخطأ أخذ مثل هذا المزاج مأخذاً جدياً . .
حقاً إن كاتولوس وشيشيرون يكرران هذه الأقوال ، ولكن كليهما
شاهد لا يعتمد به . . فالحقيقة المقطوع بها والتي لا مرأى فيها ، ذلك
أن كلوديا بعد وفاة زوجها ، قد وقع اختيارها على ماركوس
كايليوس روفوس Marcus Caelius Rufus الذي كان تحت حماية
شيشيرون ، وصديق كاتولوس الحميم ، وأحد المغامرين الجسورين

الذين ذاع صيتهم في ذلك العصر المضطرب . قد وقع عليه اختيارها
حبيباً مفضلاً لا يجاريه في قلبها أى حبيب .

أما كيف استطاع كاتولوس أن يتحمل صدمة التنحي عنه وطرحه
في عالم النسيان ، ولفظه لفظ النواة وجعله ذكرى لغرام مضى
وانقضى ، فيمكننا أن نلحظه من تلك الأبيات المريرة التي تضمنتها
القطعة السابعة والسبعون والمصدرة باسم روفوس .

ولكن بقدر ما كانت الضربة قاصمة لمركز كاتولوس الأدبي
ولقيمته الشخصية ، فإن تعلقه بحبيبته السابقة كان تعلقاً شديداً بعد
تلك الروابط الغرامية الماضية ، حتى أصبح من العسير عليه الخلاص
منها ومن قيودها . ومن ثم فهو يكتب لها في شبه تراكيب هي
خليط تارة من السب والحب ، وطوراً من الاعتراف والاستغفار ،
وأحياناً أخرى من الثورة ضد عبودية المشاعر والأحاسيس ،
فيقول :

« لا أستطيع احترامك
وإن كنت صديقة
ولا الكف عن حبك
مهما كنت فاعلة . »

وتجري القصيدة الثانية والسبعون على نفس النمط

✓
« أعرفك الآن أفضل من قبل
وهأنذا أقر وأعترف
بأن حبي لك ينمو ويزيد
بينما تقديري يقل وينكمش » .

وأخيراً نجد الشاعر يجمع ذلك العراك الصارم بين العاطفة
والكرامة الشخصية في بيتين من الشعر متأججين ، بعنوان
« أمقت وأحب »

« أكره وأحب
فلا تسألني عن السبب
فهما حاولت لا أعرفه
وإن كنت أحس بأنه ألم مبرح » .

ومن الخطبة التي ألقاها شيشيرون دفاعاً عن كايليوس في عام
٥٦ ق . م . يمكننا أن نكوّن فكرة عن لون الحياة التي تحياها كلوديا
وجمهرة فرسانها من أمثال كايليوس وكاتولوس وكالشمس ومن
عداهم إبان عامي ٥٨ و ٥٧ ق . م لقد كان للسيدة بيت ريفي
فوق تل البلاطين بالقرب من نهر التيبر حيث كانت ، مثلها في
ذلك مثل ميديا Medea ، تمارس فن السحر وتزاوله ، وقد ساعدها
على ذلك ثروتها الطائلة وجمالها الفتان . . وكان وفاضها و فراشها
مباحين لكل حبيب طارق ، كما أن ليالي الشتاء كانت تمر سريعاً في

حفلات وولاتم متعاقبات ، وفي رقصات وما يشبه الرقصات من
شقى ألوان اللهو والترفيه عن النفس . . . فإذا جاء الصيف استجم
الفریق كله عند شاطئ البحر وفي حمامات باياى ظل السعى وراء
الملذات والمسرات على أشده ، والانغماس فى الخلعة والمجون
مستمر أ مع شىء من الإباحية التى يندر السماح بها فى روما .

والآن ، لندع شيشيرون نفسه يتكلم مدافعاً عن موكله أمام
جمع السناتو فى تهمة دس السم وابتزاز الأموال ، وهما التهمتان
اللتان وجهتهما إليه كلوديا .

« سادى ، إننا فى هذه الدعوى لا نتعرض لأحد غير كلوديا ،
تلك السيدة الكريمة المحتد ، الطائفة الصيت . بيد أنى لن أقول عنها
شيئاً إلا بالقدر الذى يتحتم علىّ بيانه لكى أدحض الاتهام الموجه
نحو موكلى . وإن لم تهمه كلوديا بأنة قد أعد السم لها ، وإن لم تقل
إنها أقرضت كايلىوس أموالاً ، فكم تكون وقاحتنا إذا تكلمنا عن
سيدة يختلف شرفها عما يستلزمه شرف السيدات الرومانيات . ولكننا
إذا نحنناها جانباً ، ولم يجد خصومنا اتهاماً يوجهونه ضد كايلىوس ،
ولم تبق هناك وسيلة لمهاجمته ، فما الذى يتحتم علىّ ، بصفتى محاميه
إلا أن أصد كرامة من يهاجمونا ؟ أما عن هذا الذى أقوله ، فقد
أقوم به حقاً بمنتهى الصرامة ، لولا تلك البغضاء التى بينى وبين زوج

هذه السيدة . أعنى بينى وبين أخيها ، حيث إننى دائماً أبدأ أقع فى هذا الخطأ .

وكما هو واقع الحال فإننى سأصرف فى لين خشية أن أتجاوز الحدود التى يرسمها واجبى أو تقتضيها القضية التى وكل إلى الدفاع فيها : فكثيراً ما اعتقدت أنه من المفروض على أن أتجنب العلاقات السيئة مع السيدات ، وخاصة مع كلوديا التى دأبت دائماً على أن تكون حميدة الطباع فى مسالكها مع الناس أجمعين ، متحاشية فى ذلك أى عداوة قد تنشب بينها وبين أى فرد من الناس .

ولكنى أولاً وقبل كل شئ سأستفسر منها لأعرف هل تفضل أن أتصرف معها بأسلوب صارم رسمى عتيق ، أو بطريقة لينة رقيقة مليئة بالمجاملة .. فإن كانت تفضل الأسلوب الصارم ، فلا بد لى من أن أستدعى من دنيا الأرواح أحد أولئك السادة ، طويلى اللحية - ولن تكون لحيته قصيرة كالحية من هى متيمة به الآن ، ولكنها ستكون لحية كثة كتلك التى نراها فى التماثيل والصور القديمة ... فهذا الذى سأستدعيه ، سوف يزجر السيدة ، متحدثاً إليها بدلاً منى خشية أن تغضب هى منى الآن ... والآن لندع أحد أفراد عائلتها ينهض ، وليكن أپيوس Appius الضرير ، قبل غيره . فحيث إنه لا يستطيع رؤيتها ، فسيكون من ثم أقل الناس حزناً .. فلئن ظهر حقيقة ، لكان تصرفه كالأقربى ، ولوجه إليها

الخطاب قائلاً : دأيتها المرأة ! ما شأنك مع كايلىوس ؟ ما أمرك
مع هذا الصبي ؟ ماذا دهاك مع غريب ؟ وكيف كان رضاك ؟ لم
كنت تظهرين له مثل هذا الود ، حتى أقرضته بعض مالك فأصبحت
هكذا عدوته ، حتى أضحيت تخشين أن يدس لك السم ؟ ألم تشاهدى
أباك وهو فى منصب القنصل ؟ أما سمعت أن خالك وجدك وجد
جدك ، وكبير أجدادك كانوا قناصلة كذلك ؟ أتجهلين أن كوينتوس
ميتيلوس كان زوجك ؟ وأنه كان من أبرز الرجال وأشجعهم ؟ بل كان
وطنياً غيوراً قضى بمجرد ظهوره فى الحياة العامة على جميع مواطنيه ،
وسلبهم المجد والكفاءة والكرامة ؟ ثم لم بعد أن تزوجت من تلك
العائلة العريقة الأرومة ، الكريمة المحتد ، الشريفة النجار ، الطائفة
الصيت ، وأنت يا من تنحدرين من بيت كريم شريف ، لم سمحت
لكايلىوس أن يظهر لك كل هذا الود والحب ؟ هل كان بينك
وبينه قرابة ؟ أكان هونسييك ؟ أكان صديقاً حميماً لزوجك ؟ الحق
إنه لم يكن أحد هؤلاء أجمعين — فماذا ياترى يكون السبب إن لم
يكن محض الطيش والشهوه ؟ فإذا لم تحركك صور رجال عائلتنا ،
أفما كان أجدى بابنتى كوينتا كلوديا Quinta Clodia أن تشير فى
صدرك أن تنافسها فيما تتحلى به من الفضائل العائلية والعفة التى هى
أساس مجد المرأة ؟ أفما كان يجب على كلوديا ، تلك العذراء القيسطالية
التي كانت متى احتضنت أباهها وهو فى عربة النصر ، لم يجرؤ تريبوناً

من ترابنة الشعب المعادين له ، أن يحاول عزله من عربة النصر
هذه ؟ لم إذن تحاكين رذائل أخ ، مؤثرة إياها على فضائل أب أو
جد عائلة كاملة أنتهى أنا إليها كما ينتهى غيرى من الذكور والإناث ؟
هل رأيتنى قد حرمت وطنى من الدخول فى عالم السلام والوثام
مع بيرروس Pyrrhus ، حتى أسرفت بدورك ، فى كل يوم تقريباً ،
فى علاقاتك مع عشاق مغمورين ؟ هل زودتُ أنا المدينة بالماء كى
تستخدميها أنت فى أغراض نجسة ، هل مهدتُ أنا طريقاً رئيسياً
لكى تترددى أنت عليه بصحبة فرسانك المتيمين .

« ولكن ما هذا الذى أفعله أيها السادة ؟ .. فإننى عندما أقدم
شخصية لها مثل هذا الاحترام ، أخشى أن ينشق أيبوس نفسه
فجأة على كايلىوس ويتهمة بصرامة العذول . ولكنى أيها السادة
سأتكلم بالقدر الذى أستطيعه ، وبأسلوب يشعرنى بأننى أخدع نفسى
وبأننى أؤيد سلوك كايلىوس بما قد يرضى حتى أقصى القضاة وأعنفهم .
أما أنت يا كلوديا ، فلتعلمى أننى الآن أوجه الكلام إليك بشخصى
دون التواء أو اعوجاج ، لأنك إن كنت تقترحين كسب رضائنا
عن أعمالك وأقوالك ، واتهاماتك وهجماتك ، ونشاطك السرى ،
فيجب عليك أن تفسرى لنا أسباب تلك الشهرة العظيمة مع موكلى ،
وتلك الصداقة العظيمة وهذا الود الصارخ .. فإن متهمينا يتحدثون
بصوت عال عن دعايات وحماقات ، وعن ولائهم وغراميات ، وعن

زنى وأغنيات ، وعن موسيقى ورحلات ، وعن مراكب للمتعة
واللهو غير الشريف ، نراهم فى الوقت نفسه يشيعون أنهم لا يتكلمون
بشئ إلا حسب إرشاداتك . وعلى كل فحيث إن مزاحك الممزوج
بالعنف والعناد وصلابة الرأى هو الذى جاء بك إلى ساحة الفورم
وأوقفك أمام هذه المحكمة ، فعليك إذن إما أن تنفى هذه التهم
وتثبى زيفها ، أو ألا تسمحى لدليل واحد أن يقوم بحال من
الأحوال عوناً على اتهامك أو الشهادة عليك . . بيد أنى لو شئت
التصرف معك فى شئ من المجاملة ، فلن أفعل غير الآتى :

سأعمل على الخلاص من ذلك العجوز الظلف ، الأقرب إلى
البرابرة منه إلى أى شئ آخر ، وأختار أحد أفراد عائلتك وليكن
أخاك الأصغر قبل غيره ، فهو فى أسلوبه مرآة صادقة للأدب ، كما
أنه يهيم بحبك غاية الهُيام . وكما يخيل إلىّ كانت تفتابه بالليل بعض
المخاوف والهواجس ، فاعتاد أن ينام إلى جوارك كأى صبي صغير
يرقد مع أخته الكبيرة . فماذا إذن لو راح يخاطبك هكذا . . .

« لمَ يا أخته تحدثين كل هذه الجلبة والضوضاء ؟ لماذا أنتِ
فى هذه العاصفة من الهياج ؟ ولمَ تعظمين مثل هذا الموضوع التافه
وتجعلين من الحبة قبة ؟ لماذا تعطين له هذه الأهمية بصيحاتك
وصرخاتك ؟ لقد ركزت عيونك على جار شباب ، وفتنتك خلقته
وطلمعته ، فضلاً عن عيونته التى سحرت لبك . . لقد همنت برؤياه

كثيراً : ولقد شوهدت أحياناً في نفس الدار ، وأنت كما تعلمين
المرأة ذات الصيت العريض ، وصاحبة الثراء الطائل . . . ومع ذلك
فلم تستطيع بحال من الأحوال أن تحظى بحبه الكامل مع أنه كان
ما يزال تحت رعاية أب شديد الرقابة ، إنه يمتن هداياك ويحتقرها
مستخفاً بها . . . فلترحلي إذن إلى أى مكان آخر . . . وهل نسيت
الدار التي تملكينها هناك بالقرب من نهر التيبر ، وكيف كنت في
حين من الزمان في ألم مبرح كي تؤهلي نفسك لذلك المسكن الذي
لا يبعد عن البقعة التي يستجم فيها جميع شباننا . . . كانت أمامك
يومذاك فرصة ذهبية كي تمتعي نفسك كل يوم تقريباً . . . فلم
تكلفين نفسك مشقة كل هذا الانزعاج من أجل شخص لا يكن لك
إلا كل احتقار وامتهان ؟

والجدير بالملاحظة أن شيشيرون لا يتملق ولا يداهن : فهو في
دفاعه عن كاييوس ضد تهمة الفسق يتكلم بنفس الصراحة فيقول :
« إنني لا أتكلم الآن ضد كلوديا ، بيد أنه لو فرضنا وجود
شخصية أخرى تختلف عنها شكلاً ، واحدة من اللواتي يرتكبن
الفحشاء مع جميع الرجال ، ومن اللواتي لا يستسغن الحياة بدون
شخص يبهن العطف ويطارحن الهوى جهرًا وفي وضوح النهار ،
ومن اللواتي يفتحن أبواب بيوتهن وحدائقهن وحمائمهن على
مصاريعها لممارسة شتى ألوان الدعارة والفجور . بلى ، واحدة من
اللواتي يحتفظن بشباب يافع وينفقن من أموالهن لسد الثغرات التي

يحدثها الآباء المسكون المتزمتون الذين لا يعطون أبنائهم إلا النذر اليسير من المال . . . لو أن مثل هذه السيدة تعيش عيشة الدعارة هذه وهي أرملها ، وأظهرت فسق طباعها ودعارة ميولها بمسالكها الشهوانى واستخدمت أموالها فى أغراض التبذير والإسراف المقيت . ولئن أدى فجورها إلى احتراف الدعارة وانتسابها إلى طبقة المومسات الساقطات ، فهل يمكن اعتبار ذلك الرجل داعراً أو فاسقاً من يتمتع بكامل الحرية فى مغارلتها ومطارحتها الغرام ؟ ولكن ألا تنفث جيرة كلوديا أزكى الروائح ؟ وهل صوت الشعب صامت لا يتكلم ؟ أفلا تنطق مياه بايى ؟ إنها لا تتكلم فحسب ، ولكنها تصيح وتصرخ بأعلى صوتها ، بما قد بلغه فجور هذه المرأة الواحدة التى لا تنشد فى فجورها عزلة أو ظلمة أو ما شابه ذلك من موبقات الإثم فحسب ، بل وتلتذ كذلك بمزولة ألوان الدعارة أمام جموع الناس . . . فلو اعتقد أحد أن الجماع الحر ولو كان مع المومسات يجب أن يحرم على الشباب ، لا تصف حقاً بالصرامة والفظاظة ، بيد أننى لا أستطيع أن أناقضه ، فهو فى اعتقاده ، وهذا ما يتحتم على قوله ، لا يختلف عن حرية عصرنا الحالى فحسب ، بل وعمما تعود آباؤنا ممارسته والسماح به . . . فهل جاء أبداً زمان قضى فيه بتحريم هذه العادة ؟ فتى وفى أى زمان جاء اعتبارها تهمة أو خطيئة ؟ وفى أى عصر حُرِّم السماح بها دون السكوت عنها ؟ وباختصار ،

هل ورد أبداً زمان حُرْم فيه ما لم يكن محرماً من قبل ؟ وإني الآن
بصدد توجيه سؤال دون ذكر اسم أى سيدة ، ولكنى سأترك لكل
شخص أن يدلى بالحكم الذى يراه : لو أن امرأة غير متزوجة تفتح
أبواب بيتها على مصاريحها لكل زان وفاسق ، ولهن يطلبون الشهوة
والمتعة ، ثم تعلن أمام الملائكة أنها مومس ، ومن ثم تقبل الدعوات
من كل غريب . وهب أنها فعلت ذلك فى روما فى بيتها الريفى ، أو
فى بايى ، ذلك المكان الموبوء . . . أى لو أنها لم تظهر أمام الناس
فى مشيتها الماجنة فحسب ، بل وفى ردائها وركبها من الشباب ، غير
مكتفية بغمزات عيونها وحرية أحاديثها ، بل تعدت ذلك إلى
القبلات والأحضان ، فضلاً عن كل مسلك شائن فى الحمامات
وقوارب اللذة والمتعة ، وفى الولايم والدعوات ، لا لتبدو مومساً
فحسب ، بل ولتظهر بمظهر المرأة الوقحة المستهترّة السليطة ، فلو
حدث وشوهد شاب يافع فى صحبة مثل هذه المرأة ، أف تكون
نظرتكم إليه كنظرتكم إلى أى فاسق داعر ؟ ،

« إن أسوأ الإفساد لإفساد خير الناس » . ولا شك أن النساء
من أمثال كلوديا فى أيامها الأخيرة ، كن فى حاجة ماسة جداً إلى
الفضائل الذاتية التى للجنس اللطيف . . غير أن كلوديا كانت تتمتع
بمفاتيها الخاصة . ولم يكن قبل ربيع عام ٥٧ ق م . حينما جمع كاتولوس
شتات شجاعته للخلاص من تلك العلاقة التى نالت من رجولته

وألحقت بها المذلة والمهانة . ولقد مات أخوه العزيز حينذاك في
طرود ، ومن ثم وطن العزم على مغادرة إيطاليا والالتحاق بإحدى
الوظائف في جيش ميمموس Memmius ، حاكم بيشونيا Bithynia .
ولقد سجل هذا العزم في قصيدتين من أروع أشعاره ، وهما القصيدة
الثامنة ، والسادسة والسبعون ، وفيهما تنجلي آخر مرحلة من مراحل
الهجران ، بينما في القصيدة السابعة والثمانين يضع كاتولوس خاتمة
كل شيء فيقول :

« لن تستطيع امرأة أن تقول
إنها قد حظيت بالحب
كما أحبتك يا عزيزتي من كل قلبي .
وليس هناك من رجل
ثبت إخلاصه لحبيبته
كما عرفتُ أنا يا خلاصى » .

وهكذا في عام ٥٧ ق.م . قطع كاتولوس علاقته الغرامية بكوديلا
غير أننا لا نجد بين ما كتب من أشعار عقب هذا التاريخ إلا ثلاث
قصائد عنها . وعند عودته إلى روما متأخراً في عام ٥٦ ق.م وجد
أن كاليبوس أيضاً قد تخلص من الغادة الساحرة ، وأنها اتهمته أمام
القضاء واتخذت لنفسها لقب « كوادراتاريا Quadrantaria » ، أى
« المومس الرخيصة لقاء مليات » . وفى القصيدة الثامنة والخمسين

وجّه كاتولوس الكلام إلى كاييوس وصب جام اللعنة والسباب
على معشوقته السابقة ، : « فيديتها بؤرة للدعارة تنتظر فيه الوافدين ،
أما هي فمن اللواتي يجبنن الطرقات بالليل وينغمسن مساومات
في أحط الموبقات ، ..

ولكن رغم هذه الألفاظ القاسية ، يمكننا أن نشك في أن حب
كلوديا كان لا يزال يسرى في دم الشاعر دون استطاعته نسيانها ..
ويحتمل أنها بعد رجوعه ، في الفترة ما بين عامي ٥٥ ، ٥٤ ق . م .
قد حاولت جاهدة إعادته ثانية إلى زمرة أتباعها وعشاقها . وكان
وسطائها اثنين من أقل أصدقائه شهرة ، هما فوريوس وأورييوس .
ويحتمل أن رد كاتولوس لم يسجله إلا قبل موته المبكر بفترة
وجيزة .. وذلك في القصيدة الحادية عشرة بنهايتها الرائعة :

« ذلك الحب الذي أكرمت في حقه

فهُوت به إلى الخضمض

كما تهوى الزهرة عند حافة الحقل

وقد بترها بسلاحه

المحراث المار بطريقها ، .

وقد يكون ذلك بمحض الصدفة أو بمحض الاختيار ، كما حدث
في أول قصائد كاتولوس عن ليسيبيا ، أن حاكي فيها الشاعر أحد
أوزان قصائد سافو ، لكن هذا التشابه في الوزن الشعري يؤكد

ذلك الفارق المرير بين مشاعر صاحبي القصيدتين... وإلى هنا ينتهي
تسجيلنا لأشعار كاتولوس الغرامية .

مات كاتولوس في عام ٤٤ ق . م . كما قتل كاليبوس بعد وفاته
بست سنوات ، بينما مات شيشيرون بعده بخمس سنين . أما كلوديا
فقد امتد بها الأجل ، إذ نجد أن شيشيرون في إحدى خطبه
الآخيرة يسأل أتيكوس عن أخبار كلوديا ... والمعروف أن
شيشيرون كان أحد المعجبين بل والراغبين في الزواج من كلوديا
قبل أن يعرفها كاتولوس أو يقع في حبائل غرامها .

٤٤
٤٤
١٥٥

الباب الثالث

أشعار كاتولوس

إن أشعار كاتولوس كما هي الآن بين أيدينا ، توضح ظاهرة من أبرز الظواهر ... ألا وهي التوافق بين محتوياتها .

تختلف أشعار فرجيل وهوراتيوس أيضاً من حيث الروعة والتفوق ولكننا في حالة هذين الشاعرين نستطيع أن نتبع تقدماً طبيعياً من حيث النمو .. وذلك ابتداء من أناشيد الرعاة Eclogues الفجة ، إلى كمال الأينيدة الناضج ، ومن مرارة أشعار الخماس Epodes اليافعة والهجائيات المبكرة Satires إلى الحكمة الناضجة التي نجدها في الأناشيد Odes والرسائل Epistles .

أما الأمر مع شاعرنا فبخلاف ذلك على خط مستقيم ، ومهما كان سبب التفاوت فليس للزم من دخل فيه ، لأن كاتولوس مات في سن الثلاثين بعد أن أنجز كتابة جميع أشعاره في السنوات الست أو السبع الأخيرة من سني حياته . أما كون التفاوت حقيقة ظاهرة للعيان فسوف يتضح بلا عناء لكل من يتحاشى المختارات مؤثراً قراءة جميع أشعار الشاعر التي بين أيدينا .. فبعض الأشعار جميل

رقيق ، وبعضها الآخر سمج في سماجة كل ما هو مكتوب باللغة
اللاتينية : هذا إلى أن بعضها يبرز كمال الواقعية الخفيفة الحية ،
بينما يتجرد بعضها الآخر من كل معاني الحياة لتكون مثلاً في السماجة
وإثارة الملل .. على أن بعضها قصير مقتضب ينحصر في بيتين من
أشعار الرثاء بينما يطول بعضها الآخر إلى أربعائة وثمانية أبيات
من الشعر فتبدو أطول مما هي عليه .. وبجمل القول ، إن أشعار
كاتولوس تتضمن « مزيجاً » من شتى الضروب والأصناف « التي من
بينها » النوع المحزن .

وما بين أيدينا من نصوص كاتولوس الآن يحتوي على ١١٦
منظومة شعرية قام بترتيبها أديب لم يكن شديد الاهتمام بموضوعها
أو بترتيبها الزمني ، قدر اهتمامه بمظهرها الخارجي . وهي تبتدىء
بستين منظومة وجدانية ، تتبعها مجموعة من ثمانى قصائد تفوق الأولى
طولاً ، من بينها منظومة « بيليوس و ثيتيس » Peleus & Thetis ، وكلها
في أوزان شعرية مختلفة ، ثم مجموعة من ثمانى وأربعين قصيدة أغلبها
غاية في القصر يقع في بيتين اثنين من الشعر الرثائي تقريباً ..

أما أولئك الذين تعودوا أن يلبسوا أعمال أى شاعر بعد جمعها
مرتبة حسب تاريخ تأليفها أو وفق موضوعها ، فرأينا فيهم أنهم
يتبعون طريقة لا عقل فيها ولا تعقل . إلا أن اهتمام القدامى بالأوزان
الشعرية كان يفوق كثيراً مدى اهتمامنا بها . وكان لكل وزن شعرى

طابعه الخاص وارتباطاته الخاصة التي تجعله صالحاً بإجماع الآراء
للون خاص من التأليف ، وتحكم عليه بعدم الصلاحية لأي لون
آخر من ألوان التأليف . بيد أنه كثيراً ما كان يحدث أن يحتكر أحد
شعراء الماضي وزناً شعرياً خاصاً ويعتبره ملكاً خاصاً له . وكان على
الكتاب المتأخرين إعتزافاً بامتنانهم له ، أن يتخذوه نموذجاً لهم
ويحاكون ما يدعيه من وزن شعري ...

وهاتان الحقيقتان لا بد من إدخالهما في الحساب عند الكلام
عن أشعار كاتولوس بالذات ...

ولئن أردت الحق فعندما بدأ كاتولوس يكتب أشعاره الغرامية
لم يكن أمامه نماذج رومانية ... ولما كان يعرف اليونانية ، فقد توجه
إلى مركز الثقافة في البحر الأبيض المتوسط ... لأن أثينا في عصره ،
إن كانت مازالت منارة علم ، إلا أنها كانت قد فقدت صيتها وأهميتها
ومكانتها الأولى ، بينما احتفظت الإسكندرية بمركزها كعاصمة للبحر
الأبيض المتوسط ، كما يقول طالب العلم في حديث عيسى بن هشام
عندما سأله عن مطلع شمس العلم :

إسكندرية داري لو قر فيها قراري

لكن بالشام ليلى وبالعراق نهاري

فكانت الإسكندرية مشعل الثقافة والاستنارة في ذلك العصر
الذي كانت فيه مصر تتمتع بالاستقلال . أما البطالمة فكانوا ملوكاً
عظماً وكان المصريون يكوّنون مع الإغريق أمة واحدة عظيمة .
ومن ثم فقد توجه كاتولوس إلى أدباء الإسكندرية ، غير أنه

لم يكن محاكياً ذليلاً لا دبائنا العطاء ، نظراً لما كان بينه وبين أسلافنا
من اختلاف بين .

فكاتولوس أولاً وقبل كل شيء كان غالباً عاطفياً من الوافدين
من الشمال ، ولم يكن يعرف تلك القسوة الباردة التي اشتهر بها
الرومان القدماء ، ولا تلك السكراهية نحو الأدب العاطفي ...

ولقد عاش أدباء الإسكندرية وفنانوها تحت حماية القصر الملكي
وكانوا يكتبون أولاً وقبل كل شيء إرضاء للقصر الملكي وإشباعاً
لأهواء أنفسهم لما كان بالمتحف مكتبة وجامعة ، فقد نشأ هؤلاء
الرجال أدباء وعلماء ومعلمين لا يكرسون جل وقتهم لغير نقد الكتب
القديمة والتعليق عليها .

رفض كاتولوس وأبي أن يحاكي هؤلاء السكندريين في عاداتهم
وطرقهم العلمية ، وذلك لأنه لم يكن بحال من الأحوال ناقداً مثلهم
فقد كانت أولى أشعاره قصيدة كتبها عن ليسيبيا تعتبر ترجمة لإحدى
أشعار سافو . وكان لكاتولوس هدفان من ترجمتها :

أولاً : لأنها كانت خير قصيدة وأصلحها للتعبير عن مشاعره .
ثانياً : لأن القصيدة لو وقعت في يد زوجها ، أو تعرضت للنقد
اللاذع ، لكان في مقدوره عندئذ أن يدعي بأنها محض ترجمة
لقصيدة سافو منكرأ علاقته بليسيبيا .

وبما لا شك فيه أن كاتولوس في بعض أشعاره قد حاكي

كاليماخوس Callimachus في مراثيه . . . ومع أن كاليماخوس كان من سادة كتاب هذا اللون ، فقد منى كاتولوس بالفشل في كتابته ، لأنه نسى الفارق بين اللغتين اللاتينية واليونانية ، وتناسى طبيعة الشخصية التي تختلف عن طبيعة كاليماخوس .

أما خير مراثاة كتبها كاتولوس فتلك التي نظمها عندما توفي أخوه (القصيد ١٠١) .

وبما لا جدال فيه أن كاتولوس عندما ترجم منظومة سافو ، كان يعبر عن مشاعره الشخصية وعن عواطفه ناقلًا إياها عن اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية .

كان كاتولوس يقلد الوزن اليوناني على النمط الذي كان يتبعه كاليماخوس في كتابة مراثيه ، مصدرًا القصيدة بصفات وألفاظ كثيرة غير مفهومة ، مقتبسًا هذه الصفات من الأساطير . . . فلقد حاول كاتولوس كتابة أشعار مفعمة بالشفافة ، ولكننا في الواقع نحب كاتولوس لما يكتبه تلقائياً ، لا لما في أشعاره من علم وثقافة .

كان كاتولوس يترجم ترجمة حرفية ، ولقد ثبت هذا بعد اكتشاف ما نقله نقلاً حرفياً عن بعض كسر كاليماخوس . فقد كانت أشعار الأخير مفقودة ، فلما عُثر على بعض كسر منها ، وجدنا أن كاليماخوس قد استعمل فيها جميع كلمات كاتولوس ، مشيراً إلى جميع الأساطير الواردة في منظومة كاتولوس ، ومقتراً نفس الأخطاء التي ارتكبها كاتولوس .

وإذ انحدر كاتولوس من عائلة ثرية ، فقد اختلط مع عظماء
الشخصيات ... ومقت يومى لانضمامه إلى قيصر ، كما مقت قيصر
كزعيم للعامة ... أما هجوم كاتولوس على قيصر فقد كان غاية في
القسوة ، ويعلق كوينتيليانوس Quintilianus على ما ورد بالمنظومة
الثالثة والتسعين عن قيصر بأنه محض جنون ، إذ كيف يجرؤ كاتولوس
فيتكلم بهذه الطريقة وتلك اللهجة عن رجل له عظمة قيصر ومكانته
في التاريخ ... ولم يكن هجاء كاتولوس ليومى بأقل من هجائه لقيصر
رغم حرصه على عدم ذكر اسم يومى بقوله : « أيها الحم ، لقد
دمرت كل شيء » .

كان كاتولوس زعيم المدرسة السكندرية وكان صديقه كالقوس
Calvus زعيم المدرسة الأتيكية فوقف كاتولوس إلى جانب صديقه
ضد شيشيرون ، والحقيقة أنه ليس لدينا برهان واحد يؤيد ذلك ،
ولكن هناك إشارة به فيما كتبه شيشيرون إلى الشعراء الجدد بعد
وفاة كاتولوس بعشر سنوات .

أما القصيدة التاسعة والأربعون التي وجه فيها كاتولوس كلامه
إلى شيشيرون قائلاً إنه خير الخطباء ، وأفصح أحفاد رومولوس ...
ناعياً نفسه بأنه أسوأ جميع الشعراء ، فتدفعنا إلى التساؤل عما فعله
شيشيرون حتى يستحق كل هذا الإطراء والتقريض ، وما تضمنته
المنظومة من عبارات الشكر على لسان كاتولوس .. غير أن هناك

احتمالاً في أن هذه القصيدة كتبت بهذا الأسلوب من باب السخرية ،
إذ لم يكن هدف كاتولوس مدح شيشيرون بل ذمه ونقده ، وذلك
لأن كاتولوس كان يعتبر صديقه كالقوس أفصح خطباء روما قاطبة
ولا أحد سواه... وهكذا نعثر على دليل قاطع بأن كاتولوس لعب
دوره في تلك المعركة الأدبية التي قامت بين شيشيرون من جهة وبين
كالقوس وآخرين من جهة أخرى ، لقد كان كل إعجاب شيشيرون
منحصر في الشاعر القديم إينيوس Ennius ، ولم يكن لديه وقت
لشعراء الإسكندرية أبداً .

أما أشعار كاتولوس فقد صدرها الشاعر بقصيدة للورخ
المشهور كورنيليوس نيدوس ، ويبدو أن كورنيليوس كان معجباً
بأشعار كاتولوس نظراً لأنه شمالي مثله .

كان كاتولوس رائد شعراء الوزن الحادي عشر ، لأن معظم
أشعاره الوجدانية تتركب أبياتها من أحد عشر مقطعاً... أما الوزن
السداسي فقد اكتفى باستعماله في مطولاته ، بينما استعمل في مرثيته
الوزنين السداسي والخماسي معاً... ولكن ما من شاعر آخر قد كتب
شعراً من الوزن الحادي عشر في جمال ما كتبه كاتولوس بهذا الوزن .
كان كاتولوس شاعراً فطرياً إنبعائياً تلقائياً ، ولهذا كانت
أشعاره رقيقة ، حرة طليقة ، والعجيب في أسر كاتولوس أنه في
الأشعار التي يبدو فيها مقصراً أو مهملاً ، نراه يبذل مارتيا لوس

Martialus وبيترونيوس Petronius ، وهما الرومانيان الوحيدان
الذين كتبوا بالوزن الحمادي عشر ...

أما النقص الذي نلحسه في مرثي كاتولوس ، فمرجه محاكاة
النماذج الإغريقية .

إن أول ميزة لأسلوب كاتولوس هو أنه « طبيعي » ، خالٍ من
التكلف الممقوت ، ولا يستخدم فيه أى ألفاظ متكلفة . ومن ثم كانت
أشعاره الوجدانية جديرة بمقارنتها بأى أشعار وجدانية كتبها أى
شاعر إغريقي أو روماني .

ولو شاء فرجيل أن يكون انبعاثياً ذاتياً لما أمكنه أن يصل إلى
الدرجة التي وصل إليها شاعرنا كاتولوس .

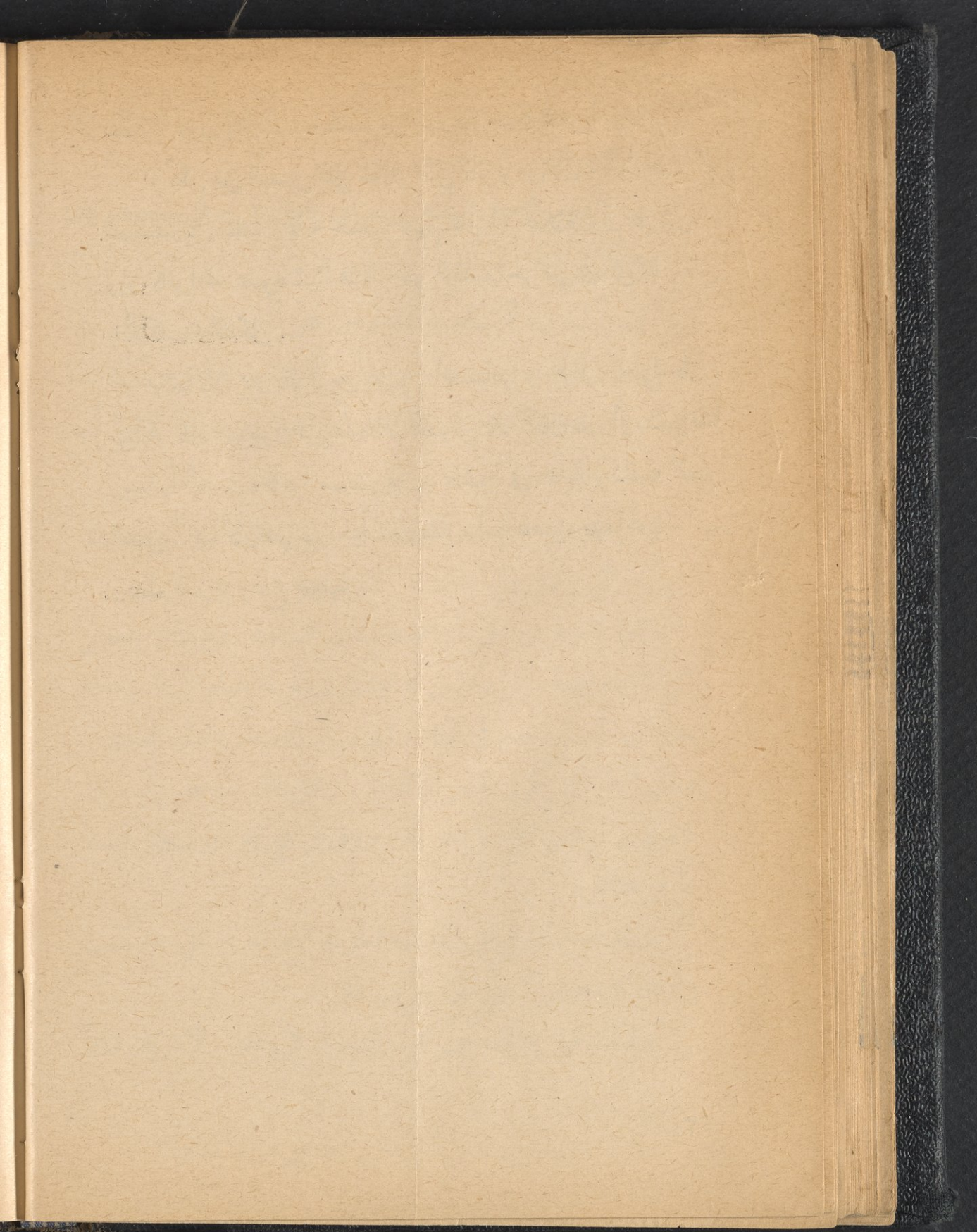
كان كاتولوس مغرمًا بالمصطلحات اليومية ، ولم يكن يتحاشى
أى كلمات عامة . بل وصل به العشق وبلغ به الهيام إلى استخدام
عبارات قد تستخدم في الكلام المرسل البسيط والنثر العادي .
وكثيراً ما كان يكرر نفس الألفاظ . وبجمل القول وقصاراه ، كان
كاتولوس يكتب كل ما يحلو له ويروق في ذوقه ، ويسجل جميع
ما يمر بخاطره .

ولقد أباح كاتولوس لنفسه الحرية المطلقة في كل ما يكتب
ولذلك كان عبقرياً دون أن يعرف ذلك .

ولذلك فهو يختلف عن جميع الشعراء الرومان ، لأنه كان فناناً

عبقرياً دون إدراك لما عنده من مهارة وحنكة شعرية .
لم يكن من السهل على شاعر مثل كاتولوس أن يحاكي الشعراء
السكندريين تماماً ، لأنه يختلف عنهم تمام الاختلاف في كل شيء .
وإن كانوا قد علموه شيئاً فذلك هو النقد والحرص في كل ما يتعلق
بالتركيب والشكل ...

ومما كان يميز كاتولوس عنهم ، أنه شاعر وجداني عاطفي حار ،
بينما هم نقاد مجردون من هذه الأحاسيس ... كان هو أرسطقراطياً
رومانياً أما هم فكانوا مستشرقين ، عاشوا في حماية وكنف القصر
الملكي ، بينما كان هوميروس حياً بمعارضة سياسة عصره مهما علا شأنهم
وعظم قدرهم وذاع صيتهم .



الباب الرابع

قصائد كاتولوس

في حب ليسيبيا

لقرين الإله
 كما يبدو لنا ظري
 إنه أسمي من الآلهة
 لو كان ذلك ممكنا
 من إذا جلس تجاهك
 رفع بصره إليك
 وظل يحدق فيك
 مرة بعد مرة

فيسمعك تضحكين
 في عذوبة مطربة
 إن هذا ، يا ليسيبيا
 يسلبني جميع مشاعري
 فيالتعاسي وشقائي !
 فكما أرى طيفك
 ينعدم صوتي على الفور
 ويختلج لساني في فمي
 ويدب في سائر أوصالي
 سعيير لظي رقيق
 وتجلجل آذاني
 بطنين داخلي
 وتجب عيناى
 في أكفان من الدجى .

(٢)

عصفور فتاتي

أَي

يا جل سلوتها

وكن تداعبك

قابلاً في حجرها

وتعطيك أنملتها

عسى أن تنقّر لها

وتحشك دائماً

لتجد في التقير

كلما ألحت على فتاتي

فتاة حي المشرقة

رغبة في أن تلهو

آملة أن تجد

كما يخيل إلى

بلسماً لجراحها

يوم تخبو في قلبها

لواعج الحب المتأججة

أه لو أستطيع مداعبتك

كما تداعبك هي

فأزيح عن قلبي

أثقاله المبرحة

٢
يا أهل العشق والهوى
وكل من تحتهم بعطفها فينوس
نوحوا... ثم نوحوا... ثم نوحوا
فصصفور حبيبتى قد طواه الردى

* * *
كان هذا العصفور دعاة غادق
وكانت تحبه كعينها
لأنه كالشهد حلاوة
ويعرف سيده
كما تعرف أى بنت أمها

* * *
وعصفور فتاق يهيم بحجرها
يقفز فيه من هنا ومن هنا
ويخصها بالغناء وحدها

* * *
والآن يا عصفور غادق
أنت تجتاز طريقاً
فى دياجير الظلام
لا يعود منه فرد
كما أجمع الأقوام

أى رب العالم السفلى! أى رب الظلمات!

لعنتى عليك ، لعنة ما لها مثال

فقد سلبتما عصفورها

وكان آية فى الجمال

* * *

أى عمل من الشيطان هذا

آه يا عصفور الحبيبة

يا عصفورها الصغير

واحسرتاه عليك يا عصفور

* * *

محبوبتى تقرّحت عيونها

من عدم النوم وطول العويل

فأضناها الفراق ولوعته

وشوقها إليك وإلى تغريدك الجميل

* * *

غنّ لفتاقى أيها العصفور غنّ

فموتك المبكر وفراقك حالا

قد أدميا عينيها حرقه وبكاء

فحرام عليك ورحمة بفتاقى



اى ليسييا ، اى حبيبتى وحياتى
 تعالى نعيش فى دنيا الغرام
 لا نبالى بحديث العجائز
 فهم من التزمت بمكان
 وكلامهم سخافات وهراء

* * *

تغرب الشمس مساء
 لتشرق من جديد فى الصباح
 أما أنا وأنت فليس لنا
 متى غاب عن ناظرينا
 شعاع الحياة القصير
 إلا أن ننام طويلا
 فى ليل ليس له صباح

* * *

هيا أعطنى ألف قبلة ثم مائة
 ثم ألفاً أخرى ، من بعدها مائة
 وبعد الألف الثالثة ، هات مائة وهكذا
 حتى إذا طبعنا على الشفاة
 آلافاً من القبلات
 كففنا عن العد
 لاختلاط الأرقام

فلا ندري كم ارتشفنا من رضاب

✱ ✱ ✱

ويحك يا حبيبتى ، ثم ويحك
وحذار أن تنسى الحسود
فعينه الشريرة لو أحصت قبلا تنا
لهالها ذلك الفيض العظيم
فتبأ لها ، ثم تبأ لكل حسود



تسأليني يا ليسيبيا
 كم قبلة من قبلاتك
 تشفى غليلي وتسكفى
 أو تزيد لتطفى الأوار
 فأقول عدى رمال ليسيبيا
 وذرات تربتها الخصبية
 ما بين معبد جوبيتر اللافيح
 والقبر المقدس لباتوس العجوز
 أو بقدر نجوم السماء
 وسط القبة الداجية
 التي إذا عسعس الليل اطلعت
 على اختلاس العشاق لشهدا الهوى
 فإن تقييلك يا ليسيبيا
 قدراً كهذا من القبل
 فيه ما يكفى كاتولوس
 حبيبك المتيح المجنون
 وما يزيد على الكفاية
 فما أحلى هذه القبلات
 التي لن يستطيع العذول عدها
 بعيونه اليقظة الفضولية
 ولا مجال لأخي الشر
 أن يحسدها بلسانه الثرثار

عزیزی کو نتیوس
 این شدت من کاتولوس
 آن یفدیک بمقلتیه
 او بما هو أعز منهما
 لو صح وجود الأعز
 فاتركه ولا تسلبته
 ما هو أئمن عنده
 وأغلی من عزیز عینیه
 او یزید و یعظم .



الكثيرون كوينتيا
يرى
جميلة فتاة

لكنها في عيني
أزكى من الريحانة
مليحة القسيمات
بمقلة وسنانة
ممشوقة القوام
طويلة فرعانة
ولا أنكر أبدأ
بلوغها في كل حالة
حد الكمال طبعاً
دون شك ولا إطالة
ولكنها ليست جملة
جميلة في ناظري
فالجمال عندي لا يعرفها
كما هي لا تعرفه
ولا أخال جسمها
تبدو به ذرة واحدة
تغريني فأستسيغها

أما فتاتي ليسيبيا
فكلها حسن وكلها إغراء
إذ قد سرقت من السيدات طرّاً
كل فتنة وكل بهاء
فاختصت بالجمال وحدها
دون سائر النساء .



تسىء ليسيديا القول فى

دائماً..... دائماً

وسيرتى على لسانها

دائماً..... دائماً

فليتنى أموت ، وليتنى أندثر

لو كانت ليسيديا حقيقة

لا تحبنى لا تحبنى

وأى دليل عندى ؟

وعلاقتها معى

هى ، هى كما هى

* * *

إنتى أصب عليها اللعنة

دائماً..... دائماً

ولكن هل لى أن أموت

لو أنتى لا أحبها

لو أنتى لا أحبها



✓
أى سيفر قولوسىوس التاريخى

أى تلك الصحيفة الدنسة

هيا ونفذ النذر

من أجل حبيبتي

فإنها قد قدّمت

لثينوس المقدسة

وكيويد المبارك

نذرها ونصمه :

لو أنى عدت

ثانية إلى حبها

وكففت عن قذفها

بأشعار الهجاء

ذات الوزن المفعولى

فسوف تعطى الإله

ذا القدم العرجاء

خير ما كتب وأنتج

أسوأ الشعراء

كى يُدمر حرقاً

بخطب شجيرة لعينة

* * *

ولقد رأت فتاتى

أنك أسوأ الأشعار

التي نذرتها للآلهة
في نوبة من الفرح
ولحظة من المرح
والآن بربك ،
أيتها المولودة
من البحر الأزرق
يا قاطنة إيد اليوم المقدسة
وأوربي الفسيحة الأرجاء
يا مقيمة في أنكونا
وكنيدوس ذات الاحراش
وفي أماثيوس وجولجي
وفي منطقة ديراخيوم
ملتقى البحر الإدرياتي

* * *

هيا سجلى في سجلك
أن النذر قد وفى
وُقدم كما اشترط
ولم يكن سقيا
ولا عديم الرواء

* * *

تعال في الوقت نفسه
تعال إلى النيران
يا سَفَر قولوسيوس التاريخي
يا أيتها الصحيفة الدنسة
يا حشاشة السذاجة
يا لمامة السماجة



تحدّثني ليسبيا
 في حضرة زوجها
 بما لا يُستباح قولاً
 ولا يُستساغ سمعاً
 ماجنةٌ سادرة
 خالعةٌ مستهترّة

* * *

ولأقوالها هذه
 في نفس بعليها
 أبلغ السرور وأعظمه
 فياله من غفل أحق

* * *

فيأيتها البغل الغبي
 لست تفهم شيئاً
 يا عديم الإحساس
 ويا قصير النظر

* * *

لئن نسيتني ليسبيا
 وقنعت بالصمت الطويل
 برأ قلبها
 وصح جسمها

* * *

ولكنها في الحقيقة
تنصب لي شباكها
وتسكث من حديثها
فتنجلي أسرارها

وهذا يعني أنني
أحتل كل عقلها
وأنها لا تذكر غيري
ولا أحداً سواي قط

وليس كل ذا فقط
بل يرمي لشيء خفي
أشد من هذا وأنكي
والخفي في كل أمر أعظم

فجمل مغزاه أنها
تحملي غيظاً دفيناً
فإذا بالقلب منها يشتعل
ولظى الهيام يستعر
فتبدوني مغنازلة
قولا ولفظاً سادرة.

أيدور في خلدك أبدا
أنه في استطاعتي
أن أقول عن حياتي
ما يفرح الأعداى
فأتحدث عن حبيبتى
بالسوء والضرر معاً
وهى التى أعزها
أكثر من عيوني
كلا وأيم الحق كلا
فما يمكننى أبدا
أن آتى فعلاً كهذا
ولو سلطنا جديلاً
أنى فعلت هذا الأمر
ما كان حى لك
هكذا مبتدلاً
ولا قبيحاً هكذا
ولكنك مع تايو
تبالغان دائماً
فتهولان اليسير
وتجسمان النقيير .

مما يسعد المرء إن ويفرح قلبه وعقله

أن يتوق إلى الشيء
في شوق جارف
فلا تحدوه أو تداعبه
كي يقتنيه ويملكه
بارقة من أمل

ومصدر غبطتي وسعادي
اللتين هما في ناظري
أغلى من النضار قيمة
أن تفيقي يا ليسيبيا
وتعودي ثانية إلى
فقد أضاني في صبايتك
كل شوق عارم

بلى ، لقد برح بي الهوى
والشوق إلى جسمك البض
بيد أنه لم يحدث قط
أن داعبني الأمل
في أن تلي رغبتى
فتعودي إلى حظيرتي

أيها اليوم السعيد
أيها المفعم بالبياض
إنك لأنصع ما رأيت
منذ وجودي في الدنيا
قل لي بربك صادقاً
هل أحسست في الدنيا بمخلوق
أسعد مني حظاً ؟

* * *

أصدقني أيها اليوم المجيد
ولا تخش لوم اللاتمين
أى كائن آنت في العالم
يمكنه أن يثبت ويقول
إن في الحياة حظاً
يتوق إليه التائقون
أكثر من حظي هذا ؟
أو هل يوجد في كنوز الدنيا
ما يطمع فيه المرء
أعظم من سعادتي هذه ؟



دارِ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا
يَسْأَلُ النِّسَاءَ قَاطِبَةً

لَوْ

مَا رَأَى وَاحِدَةً مِنْهُنَّ
فِي مَقْدُورِهَا أَنْ تَدْعَى
أَنْ شَخْصاً مَا قَدْ هَامَ بِحُبِّهَا
أَوْ أَنْ أَمْرَأَةً قَدْ «جُنَّ» صِبَابَةً
بِعَشْقِهَا وَغَرَامِهَا
كَمَا جَنَنْتُ أَنَا
بِحُبِّكَ يَا لَيْسِييَا
يَا مَحْبُوبَتِي أَنَا وَحْدِي

فَلَوْ دُرِّسْتُ قِصَصَ الْأَوَّلِينَ
وَأَسَاطِيرَ الْحُبِّ أَجْمَعِهَا
مَا عَرَفْتُ رَوْعَةَ الْإِخْلَاصِ
الَّذِي فَاقَتْ بِهِ وَاتَّصَفَتْ
أَسْطُورَةُ بَهْيَامِي بِحُبِّكَ
وَقِصَّةُ غَرَامِي بِشَخْصِكَ



تقول حبيبتى
لا يروقها امرؤ
كما أروقها أنا
زوجاً أشاركها الحياة
ولو أن جوهرها جاءها
بمجدته وجلاله
وسأل أن يتزوجها
طالباً يدها
لردته عنها خائباً
يجر أذيال الفشل

* * *

وكذا تقول حبيبتى
إن ما تهمسه الفتاة
فى أذن حبيبها
الصب غراماً فى هواها
لا بد وأن يُسجّل نوا
على نسيمات الرياح
وفوق صفحات المياه
السريعة الجريان

✓ لقد اعترفت يا ليسيبيا

ذات يوم علناً

وجاهرت أمام الملاء

بأن صديقك الأوحـد

ليس سوى كاتولوس

وكان من عادتك أيضاً

أن تقولي وترددي

بأنك لا تفضلي

أحداً على ولا تؤثرى

حتى ولو أذاك جوبيتر

وطلب صداقتك بنفسه

وكنت يومئذ أحبك يا ليسيبيا

لا كما يحب السابلة

سيدة أو فتاة عابرة

بل كما يحب الأب أبناءه

وكما يحب أيضاً صهره

وهأنذا الآن يا ليسيبيا

أتمتع منك بالصداقة

ورغم أن عواطفى
على أشدها وتضطرم
ورغم أن قلبى
متأجج بحبك
ويزداد فى التلظى
والاحترق والتردى
فإنك فى ناظرى
أحط قيمة وأقل شأنًا

* * *

أراك تسألين
وكيف كان ذاك ؟
فَرَدَّى عليك دائماً
يكون فظاً قاسياً
لأن إهانة كهنه
إن تلحق أبداً محباً
دفعته من توها
إلى المزيد فى الهوى
وساقته إلى الحماقة
أو الإقلال من شأن الصداقة



إنتى أكره وأحب
وأمقت وأود
وخليق بك أن تتساءلى
ما العلة فى هذا ؟

* * *

فأقول يا حبيبة قلبى
علم ذاك ليس عندى
ولكن هذا أحاسيسى
وأحاسيسى تمعن فى عذابى.



« إن ليسبيوس لفتى رشيق »

وما الغرابة في ذلك ؟

طالما إن ليسبيا

تفضله عليك يا كاتولوس

وعلى جميع قومك طرا

* * *

ولكن دع هذا الفتى الرشيق

يبيع كاتولوس وعشيرته

إن حظى بتزكية

ثلاثة من معارفه .



ألا فاعلمي يا ليسيا
أن عقلي ضل السبيل

هكذا كما تبصرين
وليس غيرك يا ليسيا
مستولاً عما حلّ بي

فبجريرتك يا ليسيا
قد حطم الإخلاص قلبي
وصيره خراباً بلقعا
هكذا كما ترين
حتى أنك لو أصبحت
الآن خير السيدات
لما استطاع مطلقا
غمرك بالأمانى الطيبات
ولما أمكنه نبذ حبك
مهما اقترفت منكراً
أو أتيت من الأفعال
أشر ما يخطر بالبال



اما بان منك يا روفوس حقاً ؟
 أحقاً ، وأنا صديقتك ؟

لقد وثقتُ بك عبثاً
 وعبثاً كنت أثق بك
 كلا وأيم الحق كلا
 فقد كلّفتني أغلى الثمن
 وكان ثمناً باهظاً
 إذ قد سمحت لك
 أن تتسلل إلى أعماق نفسي
 وتضرم النيران في أحشائي
 بعد أن مزقتها إرباً
 وتسلبني أنا المسكيننة
 جل سعادتي وهنائي
 أواه . . . واحسرتاه
 يا من سلبتني نفسي
 وأقصيتها عني وأقصيتني عنها
 يا ترياق نفسي وسمها
 وزعاف حياتي القتال
 فيا ويلتي وحسرة على الشباب
 يا من قتلت صداقتي
 ودفنت آثارها بيديك .

إليك أقول كف
 كف وألف مرة كف
 كُفَّ أن تنتظر
 من سائر البشر
 رد الجميل بالشكور
 ولا الشكور على الجميل
 وإليك أقول إياك
 إياك وألف مرة إياك
 إياك أن تعتقد
 أن من بين البشر
 من للجميل عنده قدر
 من فضة أو ذهب
 إن الجمائل كلها منكورة
 فالجميل فعله لا يحتسب
 ينسى ويطويه الزمن
 وما فعله مشوب بالتعب
 بل حسب عقباه الأذى
 فضلا عن المشقة والنَّصَب
 وهذه هي الحال معي

فالآن لا يغيطني
ولا يمعن في إزعاجي
سوى الذي استأثر بي
ولم يتخذ له صديقة
إلاّ من دون البشر



أَمِنْ لَبْؤَةٍ فِي جِبَالِ لِيَبْيَا
 قَدْ وُلِدْتَ يَا قَاسِيَةَ ؟
 أُمُّ مَنْ وَحْشَ ذِي سِتَّةِ رِجْلَيْنِ
 يَقْبَعُ فِي بَرْزَخِ مَسِينَا
 قَدْ نَشَأْتَ يَا ضَبْبُوعاً ضَارِيَةً ؟
 حَتَّى تَزْدَرِي وَتَحْتَقِرِي
 نِدَاءَ ذَا الْمَتَضَرِّعِ
 فِي أَشَدِّ سَاعَاتِ حَاجَتِهِ

* * *

أَوَاهِ مِنْكَ يَا عَاتِيَةَ
 فَإِنَّ قَلْبَكَ صَخْرٌ
 فِي الْقَسْوَةِ الْمَتَنَاهِيَةِ



أَيُّ كَاتُولُوسٍ !
 أَيُّ أَيُّهَا الشَّقِيُّ التَّعْسُ

كُفَّ عَنْ حِمَاقَتِكَ

واعتبر ما ضاع منك

كأنه لم يكن

كانت أيامك فيما مضى

ساطعة مشرقة

يوم كانت عادتك

مرافقة حبيبتك

أينما رغبت وحيثما اشتيت

وكانت يومئذ تحظى بحبي

كما لن تحظى فتاة أبداً بحُبِّ

وحيثما كنت يومذاك

تمتعت بفيض المداعبات

التي كنت تمنع فيها

كما تمنع فيها فتاتك

حقاً ما أسعد تلك الأيام

التي أطلت عليك بمشرقها

بيد أن معشوقتك

بعد كل هذه المتعة والهناء
ما عادت ترغب فيك أبداً
فعليك إذن أيها المجنون
أن تكف عن الرغبة فيها
بل وتعدل عن اقتفائها
فهي تكويك بهجرانها
ولما لم يبق فيك إلا أن تعيش
مكموداً حزين الفؤاد
ولا ذليلاً مهين الجناح
ولكن تأس بعقل رزين
وكن حازماً شديد المراس
وداعاً ، حبيبتى ، وداعاً
فكانت لوس الآن حازم
إنه حازم شديد المراس
ولن يلدح أبداً في طلبك
وهو مغلوب على أمره
ولكنك لن تلومى غير نفسك
يوم لا يرغب فيك أحد
حسراتى عليك ولعناتى
أيها المخلوق التعس

ما أتعس الحياة التي تنتظرك !
فمن ذا سيطرق باب مخدعك ؟
ولمن سوف تتبرجين ؟
ومن ستجيبه الآن ؟
وما اسم الحبيب الذي ستنادين به ؟
ومن الذي سترتشفين شفتيه ؟
أما أنت يا كاتولوس
فكن حازماً صارماً
ثابتاً شديد المراس



إِنْ
 إن يجد المرء لذة ما
 في استعادة ذكرى صنيع قديم

يوم يعتقد أنه صديق صادق

لم يحث قط في يمين مقدس

ولم يخدع الناس أبدا

تحت ستار مجد الآلهة

في أي عهد له معهم

ففي حياتك الطويلة إذن،

مباهج جمّة يا كاتولوس

تستطيع أن تسخلصها

من حبك المجحود هذا

فما من جميل أو صنيع

يستطيع أحد فعله

بالقول إن يكن أو بالعمل

إلا وقت يا كاتولوس

يأنجازه قولا وفعلا حتى تمّ

يبد أن صنائعك وجهائك

إلى ذلك القلب المجحود

قد ضاعت في مهب الريح

فلم تعذب نفسك يامعان؟

لم لا تقطع برأى أخير؟

لم لا ترجع إلى الصواب ؟

ولم لا تكف عن البأساء ؟

رغم عين الآلهة

لا ريب أنه أمر عسير

أن تتخلى بغتة

عن حب طال عليه الأمد

إنه حقاً لأمر عسير

ولكن لا مناص من فعله

سواء رضيت أو أبيت

فهذا وحده سبيل الخلاص

وهذا وحده ما ستعمله

عليك وربي أن تفعله

سواء قدرت أو عجزت

أيها الآلهة !

لو أن الرحمة من شيمتك

لو أنكم حقاً قد ساعدتم

أحداً من الناس في الرمق الأخير

فلترعوني في محنتي

ولئن ثبت لكم طهر حياتي

فليبعدوا عني هذا البلاء

ولترحموني من هذا الدمار

فيا ويحي يا مصيبتاه

ما هذا الفتور ؟

الذى يدب فى أوصالى
فأخلى قلبى وفؤادى
من شتى مباهج الحياة
إنتى ما عدت بعد اليوم أطلب
أن أحظى بحب حبيبتي
أو أنها - وهذا محال
ترضى معى بعلاقة طاهرة
عندئذ أستعيد صحتى
وأخلص من مرضى الفتاك
أواه ! أيتها الآلهة
حسبك أن تمنحني كل هذا
مقابل إيمانى وتقواى



ليسيتنا ، يا كاييوس ،
 ليسيتنا التي أحبا كاتولوس
 فأحبا أكثر من نفسه
 بل وأكثر من جميع أقاربه

* * *

إنها الآن في مفترق الطرق
 وفي الأزقة والحواري
 تقوم بإشباع الشهوات الدنيئة
 لنسل ريموس النبيل
 ذي العقل الراجح والرأى السديد



أي فوريوس وأوريليوس
 يارفيقي رَحل كاتولوس
 سواء شق طريقه إلى الهند النائية
 حيث الشاطئ تتلاطم عنده
 أمواج الشرق الصاخبة
 أو توغل في هيركانيا
 وبلاد العرب الملساء
 وسواء زار السكيثيين
 أو البارثيين المحاريين
 أو توغل في السهول الناضرة
 التي يصبغها النيل بفروعه السبعة
 وسواء عبر جبال الآلب الشاخنة
 ليرى آثار قيصر العظيم
 ويشاهد نهر الرين الغالي
 ويبصر البريطانيين المهولين
 القاطنين أقاصى المعمورة
 يأبىها المستعدان لهذه الأهوال كلها
 مهما كانت إرادة الآلهة
 أعلما فتان واحملا إليها
 هذه الرسالة القصيرة
 غير الرقيقة ولا اللطيفة
 بلغها ألا تنتظر مني

حُبًّا كسابق عهدها بي
فيما مضى من الزمان
ذلك الحب الذي بخطتها
حطمته وهوت به إلى الحضيض
كما تهوى الزهرة على حافة المرعى
وقد بترها بحد سلاحه
عندما مر بها المحراث

image



✓ سيدتى ، إليك تحيتى

يا طويلة الأنف

يا بشعة القدمين

يا ذات العيون الكالحة

يا قصيرة الأنامل

يا مبلة الشفافة

يا ذات اللسان غير العفيف

إنتى أحبيك

يا صديقة مفلس فورمياى

أأنت هى الجميلة الفتانة

التي يتحدث بذكرها أهل الولاية؟

أبك تقارن ليسىيا حبيبتي؟

لعمري ! يا لهذا الجيل !

ويا لقلّة ذوقه !

ويا لسوء نشأته !



البابُ الخامسُ

غراميات كاتولوس الأخرى

تطالبني أميانا الشمطاء
لقاء قبلة واحدة
بعشرة آلاف كاملة
تلك السيدة المفطوسة الأنف
صديقة مفلس فورمياي
فيا ذوى قرباها
وأولياء أمور هذه الفتاة
هيا اجمعوا الأصدقاء ، هيا
ونادوا الأطباء ، هيا
فأميانا ليست سليمة العقل
إنها لا تكلف نفسها
سؤال المرأة مطلقا
عن جمالها أو شكلها

أى أوفيلينا

كثيراً ما تذكر الصديقات الطيبات
بكلمات الإطراء والمدح

إنهن يؤدين العمل
ولهن يدفع الثمن

أما أنت فلست صديقة صدوقة
لأنك قد وعدتني

وباطلاً كانت وعودك

أنت تأخذين كل شيء

ولا تعطين أي شيء

وهذه خدعة حقيرة

فالإذعان أمر مليح

وعدم الوعد شيء جميل

ولكن أخذك كل ما تقدرين عليه

وسلبك كل ما يملك المرء

ولا تبرين بوعدك لقاء ما تأخذين

ليظهر لك أمامي امرأة

في غاية النهم والجشع

بما يفوق حد المألوف

بين أسفل الساقطات الخليعات

أوفيلينا

أى

إن حياة الزوجة مع بعلمها
 دون رجل سواه
 يتوج العرائس بأكاليل المجد
 ويهبن غاية السعادة والهناء
 بيد أن الأفضل لك
 أن تعيش مشاعاً
 من أن تكوني أمّاً
 ثم تنجيين من أحد أعمامك
 أبناء يكونون إخوةً لك



أى جوفيتيوس
يا ذا العيون المحسولة

آه لو كان يُسمح لي
بالمضى فى تقبيل عيونك
لطبعت عليها ثلثائة ألف قبلة
ولما اقتنعت بعدئذ
بأنى أخذت كفايتى
كلا وأيم الحق كلا
لا ، ولو كان حصاد قبلاتنا
أكثر من سنابل القمح الناضجة



روفا ، القادمة من بونونيا
 زوجة مينينيوس
 والتي كثيراً ما أبصرتها
 بين نمرات القبور
 تسرق قرايين اللحوم المطبوخة
 من فوق أكوام الخطب

✱ ✱ ✱

عندما أقبلت تجرى
 خلف رغيف يتدحرج
 من بين ألسنة اللهب
 أمسك بتلابيها
 عبدٌ لحاد نصفُ حليق



يهم كايلىوس بحب أوفيلينوس
ويهم كوتىوس بحب أوفيلينا
فالأول متيم بحب الشقيق
والثاني متيم بحب الشقيقة
وكلاهما زهرة شباب فيرونا
ومثل جميل للأخوة الصادقة

* * *

فمن منهما إذن أذكى
طبعاً ، أنت يا كايلىوس
فما أروع صداقتك لى
وما كان أندرها
يوم اضطربت فى أحشائى
نار متأججة ولهب مستعر
فليكن الحظ معك يا كايلىوس
وليكتب لك التوفيق فى كل حب



لجالوس شقيقان
 لأحدهما زوجة من أجمل النساء
 وللثاني صبي آية في البهاء
 وجالوس هذا شهم رقيق

* * *

فإنه خير مساعد في طريق الحب اللذيذ
 يربط بين قلوب الأحبة
 فيقود الفتاة المليحة
 إلى أحضان الفتي المليح

* * *

لكن ما أحق جالوس هذا
 ألا يرى أن له زوجة
 عندما يلقي ابن الأخت
 كيف يغتصب زوجة الخال؟

* * *

بيد أن ما يكدرني الآن
 أن يكون ذاك البصاق القذر
 الذي في فمك النجس

قد لمس الشفاة الطاهرة
الفتاة حرة طاهرة

ويحك ! فلن يتم هذا بلا عقاب
فستعرف أمرك جميع الأجيال
كما أن شائعات العجائز
ستتخذ منك فريسة لأحاديثها



قد سمع جيلوس
ويا هول ما سمع
سمع أن عمه
قد تعود أن يزجر
كل من ينغمس في الشهوات
أو حتى يتحدث عنها

* * *

وليتجنب جيلوس هذا الزجر
اغتصب زوجة ذاك العم
وهكذا صيره في لمح البصر
أخرس كالتمثال لا يتكلم
ومن ثم صار يفعل ما يشتهي
حتى ولو سمحت نفسه يوما
بهتك عرض عمه
لما اعترض الأخير
ولما فاه ببنت شفة



يقول سبتيميوس
وقد احتضن في ذراعيه
حييته أكمى
«أى أكمى ، أى حييتى ،
إن لم أتفان فى حبك
وإن لم أكن مستعداً أبداً
لأن أمضى فى حبك
طوال سنى حياتى بلا انقطاع
كأقصى ما يكون من الحب عمقا
فليقابلنى وحيداً فى ليبيا
أو فى بلاد الهند المحرقة
أسد مكشّر أخضر العينين ،

* * *

وما أن قال ذا الكلاما
حتى سعط الحب شمالا
كما سبق أن سعط يمينا
مؤيداً صدق كلامه
وداعياً بأطيب الأمانى

* * *

عندئذ أمالت أكمى رأسها
وألقت بها قليلا للوراء
وقبلت بفمها الوردى ذاك

عيون حبيبها الجميلة السابحة
ثم قالت له وهي هكذا

« إذن يا سبتيميوس ،
يا حياتي وقرّة عيني
هل لنا أن نخلص لهذا السيد
ولا نخلص لأحد سواه
أبدأ إلى مدى الحياة
لأن في نخاعي المنصهر
نار الحب قسّماً تضطرم
أعظم وهجاً وأشدّ لظى ،

وما إن قلت ذا الكلاما
حتى سعط الحب عن يمين
كما سبق أن سعط عن شمال
مؤيداً صدق كلامها
وداعياً بأطيب الأمانى

والآن بعد ذا الفأل الحسن
عاشا معاً في هناء ورغد
متحدّين قلباً وقلبا
يرتشفان كسّوم الحب مترعة

وسبتيميوس المسكين في هواء
لا يفضل على سائر السوريين
ولا على البريطانيين أجمعين
غير أكي العزيزة وحدها

وأكي المخلصة بدورها
لا تشبع لظي جيبها
أو نهم ملذاتها
إلا مع سبتيميوس
ولا أحد غير سبتيميوس
فمن رأى في عمره
أناساً أسعد منهما ؟
ومن رأى أبداً
جباً أسعد من جيبها ؟



تعديتي يا حياتي
 بأن يكون حبنا سعيداً
 وبأن يدوم فيما بيننا
 خالصاً إلى الأبد في عمرنا

* * *

فيأتيها الآلهة العظيمة
 امنحها القدرة الكاملة
 على البر بعهدنا
 فتكون فيه من الصداقات قولاً
 ومن المخلصات قلباً وقالباً

* * *

فيكون من حظنا
 دوام هذا الرباط الأزلي
 من الصداقة المقدسة
 طوال أيام حياتنا



إِسْثِيلَا الْفَاتِنَةُ
 أَي حَبِيبَتِي الْمَعْبُودَةُ

ومصدر ههنا قى المنشودة
 لكم أشتهى أن أتلقَّ أمراً
 منك بالحضور فوراً
 فأحظى بقربك مُظهراً

فلئن سمحت لى بذا
 فهل لذا العطف أن يحظى
 بعطف آخر لمح يتلظى
 فلا يصدنى أمام عتبة دارك
 معترض ولا عزول حاقد
 ولا يستهويك أبداً لتخرجى
 مِمْلٍ ولا أمر من الأمور
 حتى تظلى دائماً فى منزلك

فلو سمحت وأذنت بالرضا
 وأمرت لِبَيْتِكَ أَنْ أَحْضُرَا
 تم ههنا وبُليغ أقصى المأربا

الباب السادس

مختارات من قصائد كاتولوس

١

لمن أهدى كتابي
وإنه لجديد جميل
وغلافه مصقول بالحجر الخفاف
منذ عهد قريب ؟
إليك يا كورنيليوس
يا من تقدر أعمالى
وتعتبر التافه منها
جدير بأعظم التقدير
فمن زمن بعيد
يوم واثتك الشجاعة
من دون سائر الإيطاليين
أن تستعرض فى مجلدات ثلاثة
تاريخ العالم كله
فكانت ، وحق چوپيتر
موسوعات مثقفة
آية فى دقة الصنع

والآن أهدي إليك هذا الكُتُب
راجياً قبوله على علاته
أيّاً كانت قيمته
واحفظ به لنفسك
ويا عذرائي ، يا نصيرتي
ليت كتابي هذا يعيش
ليته يدوم جيلاً وأكثر من جيل



عزيزى فابولوس
 إنك بعد أيام قلائل
 ستحظى بولية عظيمة
 لو باركتك الآلهة
 فلئن جلبت معك من الطعام
 مقداراً طيباً وفيراً
 ولم تَفُتْكَ الفتاة الجميلة
 ولا الخمر ولا الدعابة
 ولا جميع ما يبهج القلوب
 فلو جئتنا يا صديقى اللطيف
 بكل ما طلبتُ منك
 لحظيت معنا بولية طيبة
 فكاتولوس مفلس خاوى الوفاض
 نسج العنكبوت خيوطه فى كيسه
 مطمئناً ، وقد عفا على الكيس الزمان
 بيد أنك ستحصل منى
 مقابل هذه الأشياء
 على حب طاهر نقى
 أو ما هو أحلى من الحب وأبهى

فلسوف أعطيك عطراً
تكرمت به على حبيبتى
إلهة الحب والجمال
وهو عطر لو شمته
تمنيت يا فابولوس
وطلبت من الآلهة
أن تمسحك منخاراً فحسب



أَيُّ فِيرَانِيُوسِ
يَا مَنْ أَوْثَرَهُ وَحْدَهُ
عَلَى ثَلَاثَةِ أَلْفِ صَدِيقٍ
هُمْ جَمِيعُ أَصْدِقَائِي

* * *

هَلْ عَدْتَ حَقًّا إِلَى بَيْتِكَ
وإِلَى آلِهَةِ مَنْزِلِكَ
وإِلَى أَشْقَائِكَ الْمَحْبُوبِينَ
وإِلَى وَالِدَتِكَ الْعِجُوزِ؟

* * *

هَأَنْتَ إِذَا قَدْ عَدْتَ
فِيَالَهُ مِنْ نَبَأٍ تَبْتَهِجُ لَهُ نَفْسِي
وَكَمْ يَكُنْ سُرُورِي عَظِيمًا
عِنْدَ مَا أَرَاكَ سَالِمًا
وَأَصْغِي إِلَى صَوْتِكَ الْعَذْبِ
وَأَنْتَ تَتَحَدَّثُ عَنْ رِحَالَتِكَ
وَعَنْ مَخَاطِرَاتِكَ وَمَغَامِرَاتِكَ
وَعَنْ قِبَائِلِ الْهَيْبِيرِيِّينَ

كما عودتنا دائماً

وسأطوق عنقك بذراعي
وأقبل فمك وعيونك النجلاء
وينجي من ذا الذي يفوقني
في سعادتي وهناءتي
من بين جميع المستمتعين
بقسط أوفر من السعادة؟



يا أبرع نسل رومولوس
 الأحياء منهم أجمعين
 وجميع الذين ماتوا
 وكل من سيحيا بعد ذلك
 في السنوات المقبلة

* * *

أى ماركوس توليوس
 إليك يقدم الشكر الحار
 كاتولوس أسوأ جميع الشعراء
 فبقدر ما هو أسوأهم قاطبةً
 فإنك خير المحاميين أجمعين



دهاك يا كاتولوس ؟
 لم لا تعجل بالموت ؟



✓

إن نونيوس ستروما
 متقعمس في مقعد القناصل
 وقاتينيوس يُقسِمُ بقنصليته
 ماذا دهاك يا كاتولوس ؟
 لم لا تستعجل الموت ؟



أضحكني في التو والحين
 شخص من بين الجماهير
 فعندما وجهه كالقوس العزيز
 اتهمه ضد فأتينوس
 بأسلوب رائع بليغ
 رفع ذاك أنمله
 وصاح في دهشة المتعجب
 « أيتها الآلهة العظيمة
 ياله من قزم فصيح ! »



✓ **أَي** كاتو ، أيا كاتو
يا له من شيء سخيف مضحك
جدير بأن تسمعه فيضحكك !
فالتضحك من ملء شديك يا كاتو
وبالقدر الذي به تحب كاتولوس
فالامر غاية في السخافة
ومثير للضحك جداً



أعتذر يا جيلوس
مكي أفسر السبب

في أن شفاهك الوردية

تبيض حتى تصير

أنصع من الشلج

كلما استيقظت في الصباح

أو حانت الساعة الثامنة

فأيقظتْكَ من قيلولتك

في ساعات النهار الطويلة ؟

لا بد أن في الأمر شيء

فهل حقيقة ما يشاع

من انغماسك في الرذيلة ؟

فمن الأكيد إذن أن الأمر هكذا

والظواهر كلها تؤيد ذلك



الم تستطع يا جو قنتيوس
أن تجد وسط جموع الناس هذه

صديقاً يروق جماله ناظر ك

إلى جانب صديقك هذا

القادم من منطقة پيزاوروم الموبوءة

والذى يزيد لونه شحوباً

عن تمشال مذهب

والذى تعزّه الآن وتؤثره

وتزعم أنك تفضّله على

وتتجاهل أى جرم تقترف ؟



تحدوني ، يا قيصر
لا
أى رغبة جاحدة

في أن أدخل السرور إلى قلبك
ولا أن أعرف أو أعلم
إن كنت أبيض البشرة
أم أسودها ؟



لو أن القبر الصامت
 يشعر بالسرور واللذة
 من جراء حزننا يا كالقوس
 ذلك الحزن والأسى
 الذى نحيا به حبنا القديم
 ونجدده مرة أخرى
 وبكائنا الشديد يا كالقوس
 على الصداقة الطويلة المفقودة
 فلا ريب أن حزن كوينتيليا
 على موتها المبكر
 أقل من غطتها بحبك لها



✓
 آن الأوان لآتي إليك
 بعد طول التجوال في مدن كثيرة
 وعناء الأسفار في بحار عديدة
 اليوم آتي لأودعك الوداع الأخير
 وأحضر مراسيمك الجنائزية
 التي تحزن النفس وتهز كيانه المرء
 فأقدم آخر هدية لك مني
 وأخاطب رفاتك الصامته
 دون أن أتلق جواباً لحديثي
 إذ اختطفتك يد المنون
 فيا لهفي عليك أيها الشقيق المسكين
 يا من سلبت مني وشيكا
 بهذه الصورة القاسية
 والآن فلتقبلن مني
 هديتي هذه ، التي بللتها
 وخضبتها دموع أخوية حارة
 فقد عودنا آباؤنا
 أن نقدمها هدية جنائزية
 لتعبر عن حزننا وعميق المناس
 سلام عليك يا أخي
 ثم وداعاً إلى الأبد .

يكافح ميتولا محاولاً
 تسلق جبل پيليوس
 ولكن ربات الفن والشعر
 يطرده من فوقه بالمذارى



لو يرى المرء فتى جميلا
في صحبة تاجر المزداد

فإذا يظن المرء سوى
أنه يريد بيع نفسه ؟



لو أن شيخوختك الشهباء
يا كومينوس
التي لوئتها حياة الدنس
يُكتب لها الموت
بمحض اختيار البشر
فلمست أشك من جانبي
في أن لسانك عدو جميع الأخيار
سيُقطع أولاً وقبل كل شيء
ثم يُلقى به سريعاً
إلى نسر جائع منهم
أما عيونك فسوف تنزع
ليلتهمها الغراب في بلعومه الأسود
بينما تنهش الكلاب أحشاءك
والذئاب باقي أعضائك



٢

رفاقى ، وضيوفى
يقول ذلك الزورق
الواقف أمام عيونكم
إنه كانه أسرع السفن
وإن سرعته الفائقة
قد عجزت عن قهرها
كل خشبة طافية
سواء أبحر بالشرع أو بالمجذاف

ويقول زورقى إن هذه الحقيقة
لا يمكن بأى حال نكرانها
فلاشاطىء البحر إلا درياتى الصاحب
ولا جزر كيكلاديس
ولا رودس الشهيرة
ولا پروپونتيس التراقى المتوحش
ولا خليج بونتس الكئيب
تستطيع نكران هذه الحقيقة

وزورقى قبل أن يصبح زورقاً
كان حفنة من الأشجار المورقة
وهناك فوق قمة كوتوريس
كثيراً ما كان يبعث حفيفه

بأوراق أشجاره المتكلمة

فيا أماستريس البنطية
ويا كوتوريس حاملة الأشجار
إن هذا الزورق يقول
إنكما عرفتما هذه الأنباء
وما زلتما تعرفانها جيدا

ويقول زورقي إنه قد وقف
فوق قمتك منذ نشأته
وغمس مجاذيفه في بحرك
ثم حمل سيده وأبحر به
عبر بحار عديدة صاخبة
سواء هبَّ النسيم
عن شمال أو يمين
أو هبت على جانبي الشراع
ريح هادئة مواتية

ويقول زورقي إن النذور
لم تُقدِّم قط من أجله

لأرباب الشاطئ واهته
يوم عاد لآخر مرة
من جولاته البحرية
مباشرة إلى هذه البحيرة الصافية

ولكن حدث هذا في الماضي
وزورقي يقضى الآن شيخوخته
في عزلة مريحة
واهياً نفسه لك
يا كاستور التوأم
ولك يا توأم كاستور



أى سيرميو
 أى درة أشباه الجزر
 بل ودرة الجزر قاطبة
 سواء فى بحيرات نبتون الصافية
 أو فى بحره الفسيح
 ما أسعدنى وما أبهجنى
 إذ أعود لزيارتك مرة أخرى
 غير مصدق أبدا
 أنتى قد غادرت ثونيا
 والسهول الپيثونية
 وأنتى أراك ثانية فى سلام

* * *

فأى شىء أكثر غبطة للسر
 من أن تزاح عن قلبه الهموم؟
 يوم يلقى العقل عن كواهله
 عبء الأثقال والهموم
 يوم نعود إلى بيتنا
 مرهقين من عناء السفر
 ثم نستلقى على الفراش
 الذى طال حنيننا إليه
 إن هذه اللحظة وحدها
 خير مشوبة حقاً

لمثل الآلام الجسيمة
تى تكبدناها فى حياتنا
فمرحباً بك يا سيرميو الساحرة
ومرحى بعودة سيدك
وأنت ، يا أمواج البحيرة اللودية
فلتفرحى أيضاً وتهللى
ولتتعمى بكل ما فى بيتنا
من وسائل اللهو والضحك .



أى  پوركيوس وسوكراتيون
 يا يدى بيسو اليُسْرَينِ 
 يا محض الوباء والقحط

* * *

أحقاً أن پرياپوس
 ذلك الرجل البذىء
 قد أثر كما على ثيرانيوس وفابولوس
 وكلاهما عزيز على؟

* * *

أحقاً أنكما تنفقان المال
 ذات اليمين وذات الشمال
 وتقيمات الولائم الفاخرة
 الحافلة بكل ما لذ وطاب
 وتسرفان فى تكاليفها الباهظة
 جهراً وفى وضوح النهار؟

* * *

بينما على أصدقائى الأعزاء
 أن يهيموا فى الطرقات
 بحثاً عن وليمة تسد رمقهم؟

هيا كور نيفيكوس، إن كاتولوس
لمريض يشكو السقم
وعلمته تشدد سوءاً
أضعافاً مضاعفة

كلها مر يوم
وكلها انقضت ساعة
بيد أنك لم تسر عني بكلمة واحدة
تشدد بها إزري إبان مرضي
مع أنها لن تكلفك شيئاً
أو تستنفد منك جهداً
لذا تأثرت منك كثيراً
فما هكذا يعامل الصديق صديقه
وحبيبه وعزيزه وشقيقه
إذن فلتمنحني من الألفاظ
ما يسرني عني همومي
وأجد فيه عزائي
وما قد يثير أشجاني
التي أثارها دموع سيمونيديس.



* * *
 * أَيْ *
 * * *
 * إنك لا تجيد استخدام يسراك *
 * * *
 فتنتهز فرصة ضحكنا واثمولنا

وتسحب من الغافلين مشوشاتهم
 أتظن أن هذا مزاح مقبول؟

* * *

إنك لمخطيء أيها الأحق
 ويا لها من عادة قبيحة سيئة
 بوصم ذوقك بالجذب والسقم!
 ولو خامرتك ربيبة في قولي
 فلتصدق أنماك پوليو
 الذي يسره أن تقدر السرقات
 على قدر جميع المواهب بأسرها

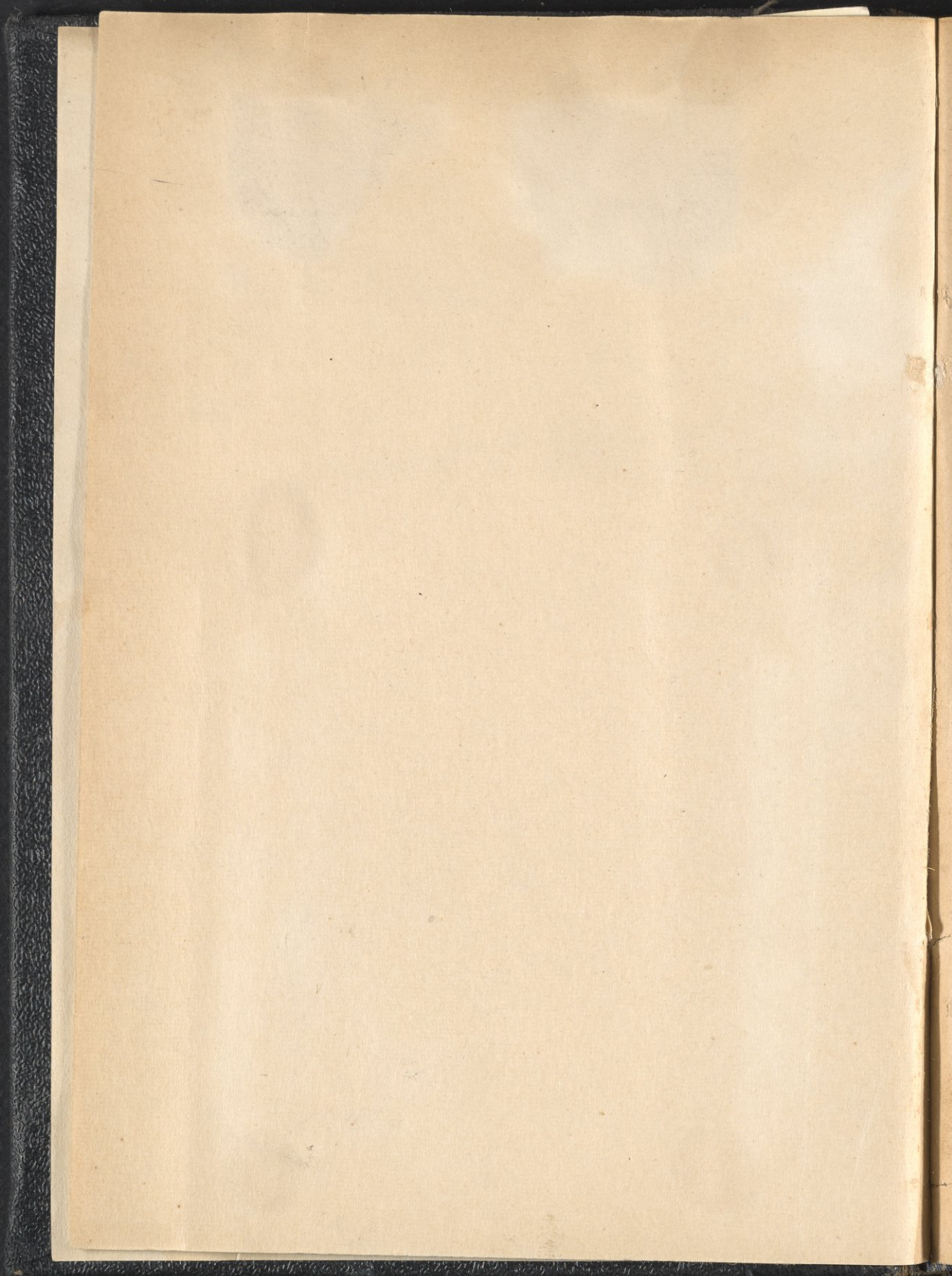
* * *

فرغم كونه لا يزال صبيا
 إلا أنه مُلِمٌ بدنيا المزاح والطرب
 فعليك إذن أن تبحث الآن
 عن ثلثائة بيت من الشعر

من الوزن الحادى عشر
أو أن تعيد إلى مشوشى
الذى لا يهمنى من أمره
سوى أنه هدية صديق قديم

ففابولوس وثيرانيوس
قد بعثا إلى من هيبيريا
بهدية من المشوشات الساتياية
فكيف يمكنى ألا أعز بها
اعتزازى بثيرانيوس وفابولوس ؟





AUC - LIBRARY



DATE DUE



AUC

8 - MAY 1996



AUC

5 MAR 1999

1974

DEC

PA
6275
A7x
1955

2 FEB 1987

The American University in Cairo
Library

January 27, 1993



0 0 0 0 0 2 7 8 9 8 3

